روايات غادة

غادة

رحلة إلى الحب

www.elromancia.com

مرمورية

دار العلم للجميع
بيروت - لبنان

رحلة إلى الحب

www.elromancia.com

ـ «كان أبي دائماً يقول تمسك بيومك ولا تضع الكثير من الثقة في الغد..».

ـ «لكن هذه نظرة بعيدة عن الواقع.. وأنا أعرف أن الحب الحقيقي والسعادة الدائمة ليسا وهمين. بل هما جزء من الغد».

خيبة أمل برونا روجرز كانت حادة.. وغلطتها وحدها أن دانيال ابتعد عنها. انه رجل يحصل على ما يريد من النساء.. وأن يكون دائماً السيد المتسلط في كل شيء.

فماذا قد يفعل بها الغد؟

* * *

يطلب من مكتبة الصفاء
ابو ظبي
تلفون ٧٧٢٠٥٣

يطلب من دار إحياء العلوم
الدار البيضاء
تلفون 319411

يطلب من شركة دار الفكر
تونس
تلفون 564785

وكيل التوزيع الوحيد في الكويت
الظمني للنشر والتوزيع
تلفون ٣٧٢٨٩٩

- ١ -

الجوال

اول مرة وقع نظر برونا عليه، كان يجلس على طاولة في مطعم «غالوروزو» الديك الاحمر، يأكل السلطة ويقرأ كتاباً. . وكان قد مرّ زمن طويل لم تشعر فيه بخفقة قلب لرؤية رجل جذاب. على الاقل ليس منذ التقت آدم، وكان هذا منذ سنتين. ونظرت الى الرجل المهتم بكتابه، لتحس بالاثارة كما يوم التقت بآدم بريسكوت، وبدأت معه علاقة أملت أن تقودهما إلى الزواج.

آدم كان اشقر الشعر ازرق العينين، اميركي مثالي، بينما هذا الرجل في الجانب الآخر للمطعم اسود الشعر، اسمر البشرة. . هل هو ايطالي؟ لا تظن هذا على وجه العموم، الرجال في سردينيا وفي كوستا ازورد بوجه خاص، وهو المكان الوحيد الذي تعرفه في هذه الجزيرة جيداً، لم يكونوا جذابين جداً، خاصة لأميركية مثلها. عادة هم ميالون الى القصر، والبشرة الشاحبة، وما أن يتجاوزا العشرين من عمرهم حتى يزدادوا وزناً. . لكن حكما

بعرض كتفي هذا الرجل، لا بد أن طوله يزيد عن المائة وثمانين سنتمتراً، دون اي غرام زائد من اللحم على جسده المليء بالعضلات.

- بماذا سنبدأ برونا؟ بالحساء ام السلطة؟

سألها الرجل الذي تتناول العشاء معه.. وبسرعة ادارت اهتمامها الى لائحة الطعام.

- سلطة لي، ارجوك بيدرو.

في الثالثة والاربعين، بيدرو بروستر كان يزيد برونا بعشرين سنة.. شعره رمادي، لكن لا زال كثيفاً.. جسده الصغير.. لكن قوي.. كان الرجل يمارس السباحة كل يوم من السنة ويمضي اوقاته يرعى حديقة كبيرة من ارض كانت قبل أن يصلحها مع انثيا، جزء من سفح جبل يحيط بفيلته الفخمة.. على الارجح، بالنسبة للنساء من مثل سنه، كان لا يزال جذاباً، وبكل تأكيد، له منزل جميل، وزورق بخاري يتجول فيه بين الشواطىء المكتظة بين تموز وآب. كان لقطة مرغوبة تضع عليها الكثيرات من الارامل والمطلقات عيونهن خاصة في مجتمع منعزل كهذا.

بالنسبة لبرونا، هو مجرد صديق، رجل متوسط العمر، لطيف، حزين، وحيد، اراحها من بعض وحدتها بنقل حماسته للحدائق المتوسطية اليها... ولطالما اعتقدت أنه وامها كانا متناسبين جداً لبعضهما.

لكن امها ماتت.. حتى ولو لم يطرحها المرض المزمن الذي لا شفاء منه، والذي جاء ببرونا الى سردينيا للعناية بها.. فأن كارين، امها، لما اصبحت السيدة بروستر الثانية، فلقد كانت، وبطريقة ما،

زوجة براد غالواي، الفاسد المنغمس في الملذات. وهما يتناولان السلطة المخلوطة بالزيتون والهليون، حاولت برونا ان لا تنظر عبر المطعم الى الرجل الجالس لوحده.. منذ انتهاء علاقتها مع آدم بألم تحطم أملها، ولم يكن هناك رجل آخر في حياتها... في الواقع، لم يكن لها حياة اجتماعية، عدا خروجها احياناً مع بيدرو. لذلك احست بالغرابة والتوتر لانها احست بوجود هذا الغريب.

دون توقع.. وهما يتناولان الدور الثاني من عشائهما، لحم عجل مطبوخ مع الاعشاب والمتبلات، جعلها بيدرو تعيد النظر الى الرجل الاسمر:

- آه.. هذا هو الرجل الذي التقيته في الميناء منذ ايام إنه شخصية مثيرة للأهتمام.

- حقاً؟ وبأية طريقة؟

- يبدو لي شخص جلف، ألا تظني هذا؟ حتى سنتين ماضيتين كان متطوعا في الجيش الايطالي.. انه واحد من القلائل من الاجانب اللذين يخدمون فيه.

- لم اكن اعرف ان في الجيش الايطالي اميركيين.

- ولا انا.. واظنه كان يعمل مدرباً.. ولقد تطوع دان.. ولا اعرف بقية اسمه.. حين ترك الجامعة.. جداه ايطاليان من شمال سردينيا.. وبقضاءه العطلات عندهما التقط ما يكفي من اللغة ليتمكن من الخدمة... لكن يلزم الكثير من الشجاعة لشاب في العشرين لينخرط في جيش غريب.. وكم اتمنى لو أن يكون طوني قوي العود مثله.

طوني.. ابن بيدرو الاصغر، تربى على اساس فكرة أن لا

جدوى من العمل في سبيل العيش في وقت يستطيع فيه والده الصرف على تكاسله... وسألته برونا:

- وكيف تحدثت معه؟

- اوقف قاربه الى جانب مركبي. انثيا.

كان بيدرو يسمي مركبه بأسم زوجته الراحلة...

- هل سيبقى هنا طويلاً؟

- هذا ما لا اعرفه.. لم يقل لي. اذا احببت ان تقابليه، سأطلب منه الانضمام الينا لشرب القهوة.

- اوه.. لا.. لا.. لا اريد مقابلته.. لكن ربما تود انت ان تتحدث اليه.

- لكنني راضٍ تماماً عن رفقتي الحالية.. وأنا اعتقد أن من المفيد لك توسيع دائرة معارفك... والألتقاء بأشخاص اقرب الى سنك. حين نتناول الحلوى سأذهب لأكلمه. لكن نوايا بيدرو خابت، فما أن انهى الرجل طعامه حتى اقفل كتابه ورفع بكرسيه الى الوراء، حين وقف رأت برونا أنه أطول مما خمنت.. لكنه لم يكن وسيماً، مع انه شاب، وليس صغيراً، بل أقرب إلى الرجولة.. رشيق بكل ذرة فيه.

لكن.. ولدهشتها، لم يغادر المطعم، بل اتجه الى البيانو القريب، وتناول الغيثار الموضوع على ظهره، وجلس على المقعد المستدير، وبدأ يعزف. وتقدم مالك المكان منهما بعد دقائق: خلال جولة له على الزبائن، ليسأل:

- ما رأيكما بعازف الغيثار الجديد؟

رد بيدرو على سؤال مالك المطعم:

- إنه جيد.

وسألته برونا:

- هل استخدمته للصيف؟

- لم استطع دفعه لتوقيع عقد لمدة محدودة، لكنه يقول إنه قد يبقى هنا لبعض الوقت. أظنه من النوع المتجول..

ولا يحب الارتباط بمكان محدد. هذا النوع من الموسيقى قد يلائم الزبائن المبكرين، لكنه فيما بعد سيعزف على البيانو وهو لاعب جاز بارع يجب أن تبقيا لتستمعا إليه.

هز بيدرو رأسه:

- أنا معتاد على الصحو باكراً، ولا أحب السهر، ما أن تحل الساعة الحادية عشرة حتى ادخل الفراش.

رد المالك:

- أنا على عكسك، لا أنام قبل الفجر، ولا استيقظ قبل الحادية عشرة من الصباح.. طريقتك صحية أكثر.. لكن...

وهز كتفيه.. قبل أن ينتقل الى طاولة اخرى ابتسم لبرونا.. لا بد أنه يعرف بأنها إبنة زوجة الفنان الاميركي الذي يقضي أكثر اوقاته في الحانات بدلاً من الرسم، وربما يحس بالحيرة حول علاقتها ببيدرو فلطالما سمعت تمتمات ارتياب ونظرات عجب وهي تتعشى معه.

عادت نظرتها الى العازف الذي كان لشعره الاسود لمعان جانح غراب تحت الضوء المنبعث من فوق رأسه.. هل عيناه كذلك غجريتان سوداوان؟ ينقصها بعد أن ترى وجهه بوضوح.

باندفاع ما، قالت لبيدرو:

- اعذرني للحظات.

ووقفت لتتجه الى غرفة زينة السيدات.. لم يكن في الغرفة احد وجلست امام أحد المرايا البيضاوية الثلاثة، تضع حقيبة يدها أمامها. عكست المرآة صورة فتاة نحيلة، شعرها اشقر فاتح حولت الشمس خصلاً منه الى اللون الذهبي، وعينان واسعتان بلون رمادي. لم تكن برونا جميلة كأمها، ولا فتنة روزا، اختها من امها، الصعبة المراس.. لكنها لم تكن يوماً غير راضية عن مظهرها... بل على الدوام قانعة بما لديها من جمال بشرة وبياض اسنان رائعة، وعنق طويل، وصوت جذاب... وتتقبل عيوبها بفلسفة خاصة. لحسن الحظ، ورثت عن امها لون عينها ونزوعها الى ارتداء الملابس الرخيصة بنفس تأثير الفاخرة. الليلة، كانت ترتدي تنورة بحمالات خضراء شاحبة تحتها قميص اخضر قاتم.. تلف على عنقها مشلحاً من الحرير المناسب. بعد تمرير المشط في شعرها، وقفت تحس برفرفات كأجنحة الفراشات في داخلها.. هل سيخيب املها لرؤية العازف عن قرب؟ هل عيناه صغيرتان او متقاربتان؟ لكن، حتى ولو ان نظرة قريبة منه لم تعرف عنها ذلك التجاذب الذي احست به نحو.. ايكون التجاذب مشتركاً؟

حين عادت الى داخل المطعم، كان العازف ينظر الى غيتارة، ولم يرفع عينيه إلا حين توقفت قربه.. ولم تكن عيناه سوداوان، بل لوزيتان، وامام لون بشرته القاتم، بدتا بلون الذهب.

- اتسمح بأن تعزف لي شيئاً؟

- بكل سرور.. اذا كنت اعرف اللحن.

صوته كان يشبه شكله وشعره.. بني قاتم، هادىء النبرات،

دون اي لكنة تنم عن اصله.

- كم مرة سأقول لك أنني احبك:

وتمنت لو أنها طلبت لحناً أقل شاعرية من هذا.. وابتسم لها، وهز رأسه ليدل على أنه معجب بما رآه منها بقدر اعجابها به... ولا مرة في حياتها، لا مع آدم، ولا مع اي رجل آخر، احست برونا بأنها أنثى تواجه رجلاً جذاباً.

حين قال لها أنه يعرف اللحن، تمتمت بالشكر وسارعت الى طاولتها حيث تمكنت من استعادة رباطة جأشها لوجود بيدرو بدوره في الحمام.. طوال فترة عزف اللحن الذي طلبته، ابقت عينيها مركزتين على الزهور فوق الطاولة، لكن في عين افكارها كانت ترى الوجه البني، القوي الملامح، والعينين اللوزيتين تبثان لها رسالة.. أنها من طرازه.. وكثيراً.

حين انتهت الموسيقى صفقت، وكذلك فعل الآخرون، والتفت دان نحوها من فوق كتفه وابتسم. ثم وضع الغيثار من يده ووقف، ليتقدم الى الطاولة. كان يتحرك برشاقة الفهد، وله نفس قوة عضلات الفهد وقوته... وقال لها:

- سأرتاح قليلاً من العزف... هل لي أن أشتري لك شراباً... أم أنني أتطفل؟

ونظر الى فنجان القهوة الفارغ قبالتها، فردت:

- لا.. ابداً.. تفضل بالجلوس.

- شكراً لك.

واشار الى أحد السقاة وهو يجلس الى جانبها:

- أنا دانيال اوزبورن، ويدعوني دان.

كانت على وشك أن تقول له اسمها حين وصل بيدرو فقالت:

- اظنكما متعارفان.

وتصافح الرجلان يتبادلان التحيات، ثم وصل الساقي بالطلبين، وطلب بيدرو فنجان قهوة آخر.. وعاد الرجلان الى الجلوس.. وشاهدته ينظر الى يدها اليسرى.. واضح أنه يتساءل عن علاقتها بيدرو.. وبالتأكيد لن يتصور أشياء لا وجود لها؟ لا شك أن دعوتها له ستصرف نظره عن فكرة أنها وبيدرو مقربان بالمعنى المعروف للشائعات... فما من شك أن فتاة لها علاقة مع رجل أكبر منها، ستجرك على دعوة شاب وتشجعه على التعارف.

وسأله بيدرو:

- لعب الغيثار والبيانو امر نادر هذه الايام.. فكيف توصلت لجمع الاثنين معاً؟

- الغيثار هوايتي.. وجدتي علمتني العزف على البيانو، ووجدت انني قادر على عزف الانغام عن طريق السمع.. صحيح أنني تلقيت بضع دروس، لكنني لم أكن أهتم بساعات التمرين لأصبح محترفاً.

والتفت الى برونا.

- هل أنت اميركية؟

- أجل.. الا ابدو هكذا؟

- أجل.. لكن اسمك ايطالي، ولم اسمع بفتاة اميركية اسمها برونا.

- والدتي اصلها ايطالي.. ووالداي كانا يعيشان هنا حين ولدت لكن اسم العائلة لا يمكن إلا أن يكون اميركياً انه روجرز.

وتمنت لو يكمل الكلام معها، لكنه استدار الى بيدرو واخذا يتحدثان عن منساءات الميناء والتسهيلات التي فيه، وأحست أنه فعلاً قد اخذ فكرة خاطئة عنهما.

وشرب دان العصير بسرعة ووقف:

- يجب أن أعود إلى العمل. اهناك لحن آخر ترغبين في أن اعزفه لك؟

فقال بيدرو:

- ما رأيك بمعزوفة «حبي الوحيد»؟

- بكل تأكيد.

حين ابتعد قال بيدرو.

- أظنه كان يعزف لك لحناً؟

- أجل.

- اعتقد أنه من وجهة نظر النساء رجل جذاب لكنه ربما غير ناجح.

- ولِمَ تقول هذا؟ حين تكلمت عنه منذ قليل تمنيت لو أن طوني له صلابته.

- في بعض الاشياء، أجل. لكنني لا أرغب أبداً في أن أرى طوني يعيش هذه الحياة المتشردة، مع أنه يعيل نفسه جيداً، وغير متكل على مال غيره كطوني. لكن دان، يبدو ذكياً جداً ويجب أن يفعل أشياء أفضل من هذا في حياته... قد يعيل نفسه هكذا، لكنني اشك في أن يستطيع إعالة زوجة واولاد.

- ربما لا يرغب في زوجة واولاد، فالناس لم يعودوا يستقرون في سن مبكرة كما كان الحال قديماً.

www.elromancia.com

ـ لا . . وأنا مع أن يختبر الشباب العالم أكثر مما فعل جيلي. لكن الواقع يبقى أن الشباب لا يدوم طويلاً. وعاجلاً أم آجلاً يجب عليهم أن يصبحوا اعضاء فاعلين في المجتمع.

وهي تصغي الى بيدرو عادة، وترد بنعم او لا في اللحظات المناسبة، شاهدت الساقي يتقدم ليضع امام دان فنجان قهوة. . ثم شاهدته يتحدث إليه ملتفتا اليها. . وكأنه يسأل ماذا تفعل فتاة صغيرة مع رجل في سن أبيها.

للحظات احست بالانزعاج، والحت على أن تقفز نحوه لتوضح له أن بيدرو ليس حبيبها ولا حاميها، وأنه ليس من النوع الذي يشتهي الفتيات اللواتي في نصف عمره. . لكنها قررت أنه لو كان من النوع الذي يصدق ودون أي برهان قاطع، الاسوأ عن الناس، فهي لن ترغب في التعرف إليه أكثر.

اعادها بيدرو الى ڤيلتها الصغيرة، القريبة من ڤيلته الكبيرة، والتي اشتراها والدها منذ عشر سنوات كمنزل للعطلات، وللأستثمار. كلا الڤيلتين كانتا في منطقة سكنية، حيث لم يفسدها بعد عجقة السياح ومواسم السياحة لكن، للمنطقة مساؤها كذلك، خاصة لعائلة وسيلة تنقلها الوحيدة دراجة نارية تستخدمها روزا للتنقل الى عملها في مدينة «كاليغاري» حيث تعمل في مكتب عقاري. واذا ارادت برونا التنقل، أو الذهاب الى المدينة، عليها الاعتماد على خدمة الباص او توصيلات من اصدقاء. . . أحياناً يحاولون أن يكونوا أكثر صداقة. . لذلك نادرا ما كانت تبتعد الى أكثر من القرية، إلا اذا كان ذلك ضرورياً. . . لكن بقدوم الربيع اخذت تفكر بشراء دراجة هوائية، تمكنها من الانتقال الى الشاطىء

كي تتمتع بالسباحة فيه أكثر مما تتمتع ببركة السباحة في ڤيلا بيدرو.

وصلا الى منزلها ليجدا المكان يشع بالانوار، لكن دون وجود احد فيه، لا بد أن زوج امها براد، قد خرج الى مقهى القرية، وأن روزا قد ذهبت لترقص.

بعد توديع بيدرو، اخذت تدور في غرف المنزل تطفيء الانوار. . حتى الآن، تفهمت أن التوسل الى براد وابنته روزا كي يقتصدا في كل شيء امر لافائدة منه. أحياناً كانت تفكر بأن تنفذ نصيحة بيدرو وتتركهما يتدبران أمرهما بانفسهما. . . لكن كان هناك دائماً عاملان يمنعانها من توضيب حقيبتها. . احدهما أن امها توسلت اليها ان تبقى مع اختها روزا الى أن تتعلم قليلاً من التعقل. . والآخر إنها، ومثل امها من قبلها، تحب ايطاليا، خاصة هذه الجزيرة، وتحس أنها وطنها الروحي. عظمة وجلال الجبال، السفوح المتدرجه كالمصاطب المزروعة عنباً، بساتين الزيتون، الفاكهة والسمك المعروض في سوق القرية الصغيرة، صداقة الناس وحيوتهم. . وفوق كل هذا، الطقس الرائع الدافىء لحوض المتوسط الذي يجعلها تتمسك بالعيش هنا، بسعادة بالرغم من مسؤولياتها.

لماذا، وبعد ست سنوات من الترمل، تزوجت امها «كارين» من براد غالواي، هذا سر غامض لها. . . ما عدا ان كلاهما فنان. . كارين رسامة موهوبة لا تزال لوحاتها متداولة بأسعار مرتفعة في مختلف معارض اوروبا. . بينما براد ينبش الارض بحثاً عن اثريات مزخرفة لبيعها الى السواح. . . ولاشيء يجمعهما في الواقع سوى اسم الفن. . . لكن سرعان ما اعترفت كارين متنهدة ان زواجها الثاني كان كارثة. . . إلا أن اخلاصها كان يلازم

شخصيتها كما كانت تلازمها الشجاعة والمرح. وضحكتها هي اكثر ما افتقدته برونا منها، فلا روزا، ولا براد كانا يملكان روح المرح، ولا حتى بيدرو.

اخذت تفكر بدان أوزبورن وهي مستلقية في الفراش، منتظرة ان تسمع وقع الاقدام المتعثرة التي تدلها على وصول براد.. كانت تعلم انها لا يجب ان تترك تفكيرها يدور حول رجل قد لا يكون سوى تعقيد اضافي في حياتها المعقدة اصلاً... فلربما لن تراه ثانية.. والى أن يأخذها بيدرو مرة اخرى الى مطعم «غالوروزو».. من المحتمل أكثر أن يكون دان قد ارتحل..

وبحزم.. ابعدته عن افكارها.

* * *

- ٢ -

المنقذ.. الوغد

في مكان ليس ببعيد عن منزل برونا، المسمى «كازابيتشوني» أي منزل الحمام.. وخلف منزل بيدرو المسمى «ڤيستا جردينو» أي الحديقة الواسعة، يرتفع جبل تقطعه طرقات مشاة، حفرتها حوافر البغال والحمير، كانت برونا تعرفها جيداً، ولطالما سارت عبرها حين كانت لا تزال مراهقة.

صيفاً.. الطقس حار جداً للخروج في نزهة طويلة سيراً على الاقدام.. لكنها في الشتاء، كانت ترتدي بنطلوناً من الجينز العتيق لتحمي ساقيها من اشواك الوزال، وتملأ قربة ماء، لتختفي الى اعلى الجبل لاربع أو خمس ساعات.

احد اجمل مكان مفضل لها كان قرب قصر متداعي مبني عند القمة، وحولها بعض الاثار الرومانية.. كانت تجلس على قمة جدار حجري، تحرك ساقيها تتطلع الى الجبال البعيدة، والى البحر تحتها، تزين شواطئه بحيرات الملح.. تحلم احلاماً مستحيلة، ان

www.elromancia.com

يكون الكازا بيتشوني لها وحدها.

ذلك اليوم خرجت للتنزه كعادتها، فيما كانت تظن انه سيكون آخر مرة خلال هذه السنة، وقبل حرارة الصيف.. عادة كانت واثقة الخطى مثلها مثل البغال والحمير التي تطرف الممرات، والتي بالرغم من المكنات الحديثة لا يزال المزارعون يعتمدون عليها في حراثة بساتين الكرمة والزيتون في هذه الجبال المرتفعة... لكنها هذه المرة وبالكاد كانت قد بدأت في النزول، داست قدمها على قطعة صخرية مفلوتة، وهوت تحتها على الفور.. بصيحة ذهول، تحولت الى شهقات الم.. وقعت ولوت كاحلها.

كان مجرد التواء، وسرعان ما ظهر التورم.. كان لا يزال معها القليل من الماء في المطرة، ففتحت الفتحة الصغيرة التي تخرج خيطاً رفيعاً من الماء للشرب، وبللت منديلها لتربطه حول كاحلها المتورم على امل ان يخف الالم لتتمكن من القفز على قدم واحدة حتى المنزل.. لكنها سرعان ما اكتشفت ان هذا مستحيل، ولسوء حظها، كانت على جزء من الممرات بعيد عن انظار المنازل البعيدة في الاسفل. لكن حتى ولو صرخت طلباً للعون، وسمعها احد، لا يمكن أن تدل على مكانها، وبسبب الفضاء المترامي فوقها، قد يبدو صوتها يأتي من بعيد... فصاحت يائسة:

ـ اوه.. يا للجحيم!

سرعان ما ابعد الالم اي تفكير سليم من رأسها. ما عدا تفكير محموم، وغير معقول أحياناً، كيف ستتمكن من الوصول الى الطريق في الاسفل.

من مكان ما فوقها.. سمعت شخصاً يصفّر.. وعرفت أنه

ليس الراعي الذي يرعى خرافه عند قمة الجبل، وإلا لسمعت كذلك اصوات اجراس الخراف. إذن لا بد أنه شخص يستخدم الممرات المختصرة التي تسير فيها الماشية من البلدة الى الجهة الاخرى للجبل. ولاحظت بتقدم السائر نحوها، أنه يصفّر قطعة موسيقية شهيرة تحبها.

الرجل الذي اول ما لمحت منه، رأسه وكتفيه، من خلف شجيرات اكليل الجبل، كان الشخص المثالي لانقاذها. مع ذلك، كان ارتياحها لرؤية دان اوزبورن المتقدم نحوها، ممزوج بشيء من الفزع... خطر المدة التي مرت منذ لقائهما، وجدت صعوبة في نسيانه.. ولقاء آخر سيزيد الامر صعوبة.

كانت تجلس من وضع، حين لمحها فيه، ظنها تجلس لترتاح، لكنه وقف، واوقف الصفير. وابتسم، نفس الابتسامة التي اعطاها حين وقفت قربه في المطعم:

ـ مساء الخير.. هل أنت في طريقك نزولاً أم صعوداً؟

ـ كنت انزل، إلى أن تزحلقت... وأذيت كاحلي... لويته. آسفة لو ازعجتك، لكن أيمكن أن تساعدني على الوقوف؟

ـ طبعاً.. لكن دعيني انظر اولاً.

ركع امامها، وازال الرباط المبلل برقة. ولاحظت برونا أن يديه عكس الرجال الضخام الجثة لم تكونا سميكتين ضخمتين، وليست اصابعه قصيرة بدنية، بل هي يدين لرجل طالما استخدمهما في العمل.. قويتان ورشيقتان معاً.

ـ اوه.. ياللمسكينة... عليك بالشد على اسنانك قليلاً.. كما اخشى.. فقد يكون هناك كسرا، وقد تحتاجين الى نقالة. واذا

لم يكن كسرا، سأحملك بنفسي، مع أن هذا لن يكون مريحاً.

وعرفت أن ما فعله ليتفحص الاصابة، بالرغم من الالم، كان لقربه منها تأثير المخدر عليها.

- همم.. انه التواء... لكنه سيء. ولن تستطيعي السير على قدمك لفترة ما.

اعاد وضع المنديل وربطه من جديد، ثم وقف لينظر اليها وعيناه الذهبيتان تتساءلان.

- والآن، إذا كان لديك انطباع انني سأحملك الى تحت كأحد أبطال السينما، فانسي الامر. هناك طريقتان للنزول عبر طريق وعر كهذا... طريقة الاطفائي، وهي ليست للمسافات الطويلة أو على الظهر.

كان هذا وضع حميم جداً تصورت نفسها فيه، وهو الغريب تقريباً، ارسل موجات ساخنة من الدم تندفع من عنقها الى جبهتها. وفي جهد لأخفاء حرجها ادارت وجهها عنه صامتة.. فقال:

- ظهري قد يكون مبللاً بالعرق ومن الافضل أن أضع هذا عليه وجذب قميصه من تحت الحزام ليضعه على ظهره فقط ويربط الاكمام من امام.. وما هي إلا لحظات حتى كانا ينزلان الجبل، وذراعا برونا حول عنقه وساقاها ملتفان على خصره.. ولم تكن الرحلة مريحة، فالوضع المتدلي لقدمها جعل الدم يضغط بألم على الخلايا المصابة، ومع رشاقته، وقوة خطوته، كرجل معتاد على الصعاب، إلا أنه لم يستطع أن يتجنب ارتجاجها أحياناً. لكن قلة الراحة لم تكن ما تذكرته فيما بعد.. بل كانت رائحته الرجولية ولون شعره الداكن.

عند اسفل الطريق حيث يلتقي بطريق اخرى مرصوفة عبر منطقة مشجرة بالضوء، وابنية بسيطة، انزلها بحذر.

- والآن جاء دور ابطال السينما.

وقبل أن تعرف ماذا سيفعل رفعها بين ذراعيه، وكأنها العروس المحمولة فوق عتبة الدار، وسار بها ما يتبقى من الطريق.

- يجب أن اقول انك شجاعة.. فلا بد أن قدمك تؤلمك كالجحيم، مع ذلك لم تتفوهي بكلمة.

- اوه.. بالامكان أن تكون اسوأ من هذا.. ومن حظي أنك مررت، وإلا لبقيت هناك لزمن طويل.

- الا تحملين صافرة؟ يجب ان يكون معك واحدة، اية فتاة تسير لوحدها في امكنة فيها بعض المخاطرة يجب أن يكون معها صافرة جيدة.. إنها أسهل من الصراخ بعشر مرات.

- أجل.. اوافق معك. لم أفكر بهذا من قبل. ساشتري واحدة.. مع أن موسم التمشي قد إنتهى تقريباً.

- وما هي رياضتك الصيفية؟ السباحة؟ التنس؟ الابحار؟

- السباحة، والغطس أحياناً. ولا العب التنس أو الابحار.. لم اركب من قبل مركباً شراعياً، بل مراكب تجارية فقط.

- لا مجال للمقارنة، المركب المزود بمحرك مثير للضجيج والرائحة. بالنسبة لي الابحار يعني الهرب مما يجري على البر.. من أين سنذهب الآن؟

- الى يمينك ارجوك.

كانت تحاول تجنب اللقاء مع براد وهي في حالتها هذه، لكنها بخيبة أمل، وهما يتقدمان من «فستاجردينو» شاهدت بيدرو يعود

الى منزله في سيارته الحمراء. فاوقفها خارج باب منزله وقفز منها والقلق باد عليه لرؤيتها بين ذراعي دان.. فسارعت تقول.

- إنه مجرد التواء مفصل بيدرو.

- يا الهي كيف حدث هذا؟ اعطني إياها الآن. ومد ذراعيه ليأخذها، فرد دان:

- إنها ليست خفيفة الوزن.

- ادخلها المنزل إذن.. وسأستدعي الطبيب.

كان بيدرو احد القلائل ممن يملكون هاتفاً في تلك المنطقة وهو يحتاجه لا تصالاته التجارية مع روما.. وفتحت برونا فمها لتحتج لكن دان اسرع ليقول:

- اوه.. أظن هذا ضرورياً.. اذا كان لديك اسعافات اولية كافية فسأربط لها الاصابة.

فسأله بيدرو بحدة:

- وهل أنت مدرب على الاسعافات الاولية؟

رد دان بهدوء:

- مدرب بما يكفي للتعامل مع إصابة بليغة وأكثر خطورة من مجرد التواء كاحل.

قبل أن تتمكن برونا من القول انها تفضل الذهاب إلى منزلها، كان دان قد بدأ يصعد بها السلم العريض نحو الشرفة الواسعة. بعد أن وضعها دان بحذر على الاريكة، قال له بيدرو:

- لو تدخل وتستدعي ليزا ستعطيك علبة الاسعافات الاولية.

كان يتكلم معه بلهجة كان يستخدمها الاسياد مع خدمهم في القرون الوسطى.. ولم تستطع برونا فهم تصرفه هذا نحو رجل

لولاه لكانت لا تزال ملقاة في الجبل. وشاهدت دان يرفع حاجبه بسخرية، لكنه بقي صامتاً وفعل ما قاله بيدرو.. حين اصبحا لوحدهما قالت محتجة:

- بيدرو.. الم يكن هذا...

جلس على حافة الصوفا قربها، وقال مقاطعاً:

- لا يعجبني هذا الشاب.. إنه مغرور بنفسه.

مغرور؟ ربما معتد بنفسه، واثق، لكن مغرور؟ ردت عليه بصراحة:

- لكنه كان يعجبك من قبل.

- ولم يعد يعجبني الآن.. ماذا كنت تفعلين في الجبل معه؟ الا تعتقدين أن ليس من الحكمة الصعود الى الجبل مع رجل لا تعرفينه؟ قد لا تستطيعي التعامل معه.. وهو يبدو من ذلك النوع.

العدائية كانت واضحة في صوته، وادهشتها. لم تكن تعهده يتحدث بحدة عن احد هكذا، ولطالما آمنت أنه رجل متسامح.

- لم أكن في الجبل معه! كنت اتمشى، وكان هو يتمشى كذلك. ولحسن حظي أنه وصل بعد وقت قصير من اصابتي. ولا افهم سبب كراهيتك المفاجئة له.. ولو أنك سمعت اي شيء لا يرضي عنه، فلربما كان ذلك مجرد اشاعات لا اساس لها. فأنت تعلم كيف يتكلم الناس هنا.

- الامر لا يتعلق بشيء سمعته.. بل ما تقوله لي البديهة. لفتاة في مثل سنك، لست محكنة برونا. بل الواقع أنت بريئة إلى حد السذاجة.

- وما دخل هذا به؟

- لو حاول مغازلتك لما استطعت التعاطي معه، ولا شك ان من يعرفهن من النساء غير شريفات، أو على الاقل نصفهن.

احميت بالارتباك فتمتمت:

- بيدرو!

- ارأيت؟ صدمك كلامي. حتى إنه لم يبدر في ذهنك ان رجلاً فجا مثله من المستحيل أن يكون له ذوق مرهف في النساء.

- هذا غير صحيح، فاخلاقه جيدة وهو متعلم.

- قد يكون هذا مجرد مظهر خادع. فله فتنة الشيطان. وهو فعلاً شيطان.. قاتل.

- هل تشير إلى أن دان...

صمتت تفكر قليلاً بسبب ما يقوله لها، ثم وضعت يدها على ذراعه، وأكملت تهوّن عليه:

- ربما أنت على حق. لكن لا تقلق.. لقاؤنا كان صدفة بيدرو، وحسب ظرفي كان لقاءً محظوظا.

وضع يده على يدها وضغطها:

- ربما ما كان على أن اقلق في هذه الحالة. لكنني أقلق عليك عزيزتي.. تمرين في اوقات سيئة وأنت تقومين بدور مدبرة منزل دون اجر ولا شكر لبراد وابنته روزا... لماذا يتمتعا بالحياة على حساب راحتك؟ أعرف أنك لا تحبيني لكن بيننا أشياء كثيرة مشتركة، وهذا أفضل اساس للزواج.

رددت بصوت خفيض مشدوه:

- زواج؟

وسمعت صوتاً جافاً من خلفهما يقول:

- آسف جداً للمقاطعة.. لكنني اعتقد أن عليك تأخير طلبك الى أن اضمّد كاحلها. فهل تسمح بالإنتقال من هنا سيد بروستر؟

وقف بيدرو من قربها وعبوس مختلط من الحرج والانزعاج يغضن وجهه، ووضع دان علبة الاسعافات الاولية في المكان الذي كان يجلس فيه، وبدأ يتعامل مع لوي المفصل بربطة. فعل هذا بخبرة طبيب.. وبقدر ما كان ألمها قليلاً من تعامله معها، كان هذا لا يقارن مع المها النفسي. ووجدت نفسها تتشوق لأن تقول لدان، ان طلب بيدرو جاء من حيث لا تدري، وأنها لم تفعل شيئاً لتشجيعه، وانها مرعوبة لطلبه هذا.

حين انتهى قال:

- ها أنت.. سأذهب الآن.. آديو.

وصل الى حافة الشرفة حين نادته، فالتفت:

- شكراً لك.. شكراً كثيراً.

هز كتفيه:

- اهلاً بك ومرحباً... لا تشكريني على شيء،

- قبل أن تذهب، أتقوم بخدمة اخرى لي؟

- ما هي؟

- احس بالارهاق، واود الذهاب إلى البيت، أنه في أسفل الطريق، اذا لم تمانع في مساعدتي قليلاً بعد.

- أظن هذا امتياز مقصور على السيد بروستر.

وأكمل طريقه، لتحس بالصدّ والبؤس، ولا مزاج لها للتعاطي مع تكرار لطلب بيدرو بالزواج.

لكن حال ان غادر دان، كان بيدرو قد استعاد السيطرة على

نفسه:

- اسف برونا.. لقد اخترت لحظة غير مناسبة لأخبرك عن مشاعري الدافئة نحوك. أنت متألمة، ولا شك تعانين صدمة... ويجب أن تكوني الآن في السرير... سآخذك إلى منزلك فوراً. ويجب أن تأتي ليزا معنا لتؤمن لك راحتك.

هكذا، كان آخر لمحة لدان، حين وصلت سيارة بيدرو إلى باب منزلها وكان هو يصلها في نفس الوقت. وتنحّى عن الطريق ليسمح للسيارة الصغيرة ذات المقعدين بالمرور، بينما كانت ليزا تلحق بهما سيراً.

في اليوم التالي، كرر بيدرو طلبه.. كانت برونا تحس انها أكثر ملائمة لمهمة رفضه بلباقة. لكن، لسوء الحظ، لم يتقبل أن يكون ردها نهائياً. وقال أنه سيسألها مرة اخرى بعد أن يمر وقت يكفي لتفكر. عندها اكتشفت أنها بالرغم من محبتها له كصديق للعائلة، إلا أنه كحبيب كان بغيضاً مثيراً للاشمئزاز. وتوفيره الحياة الرغدة لها لا يعني شيئاً مطلقاً. ومع أنها متحررة الافكار في امور كثيرة إلا أنها في امور أساسية قديمة الطراز ولم تفكر يوماً بأن يكون الزواج مجرد وسيلة للعيش.

بالنسبة لها كان الحب التزام كامل دون تحفظات.. ولا يمكن أن تعيش مع رجل على اساس تجريبي.

خوفها هذا بالضبط كان الرادع لها. بعد أن شفي كاحلها قليلاً، قررت الذهاب إلى الميناء حيث يرسو مركب دان، لتوضح له انها غير مرتبطة بأحد، وأنها معجبة به، وان الأمر عائد إليه لتولي الامور من هذه النقطة.

مرتين، حين تمكنت من السير دون عرج، وصلت إلى موقف الباص المتجه إلى القرية، وفي سلتها مرطبان من المربى المصنوع يدوياً كهدية شكر له لمساعدته لها. لكنها في كل مرة، كانت تصل القرية وتخونها شجاعتها... لو أنه أنجذب إليها كما انجذبت إليه، لكان سعى إليها، بغض النظر عن امكانية التزامها برجل آخر.

مرّ شهر على هذا.. اضافة الى المشاكل البيتية، كانت برونا تخشى من أن يكرر بيدرو طلبه بالزواج.. لكن كان يمرّ عليها ساعات، وقد تستمر أياماً، كان الطقس الذهبي الرائع، يجعلها تنسى مشاكلها. فبينما كان بعض الناس يذبلون في الحرارة، كانت هي تزهر وتشرق كالازهار المتعرشة التي تغطي الفناء الخارجي، وازهار «البانسية» والورد التي زرعتها امها في مساكب جميلة تحيط بالشرفة. وكانت تسبح في بركة منزل بيدرو نادراً قدر ما تستطيع، تعتذر دوماً من دعواته للعشاء.

مع ان براد لم يكن يمانع من سهر ابنته روزا خارج المنزل إلى ما بعد منتصف الليل، وطلب من برونا أن لا تعارضها، إلا أنها لم تستطع إلا الشعور بأن من السوء لفتاة في السابعة عشرة أن تبقى في البلدة حتى مثل هذه الساعة، وتعتمد على توصيلات من شبان لتصل إلى المنزل. حتى الآن لم يحدث لروزا ما يسيئها، إلا أن ثيابها، ماكياجها، ومعرفتها لكل الاجوبة، كان محسوباً لها أن تصل إلى المشاكل في النهاية.

في إحدى الليالي، وبرونا تقرأ في فراشها، سمعت صوت سيارة تتوقف في الخارج.. ثم صوت جدال حاد، وقبل أن تبعد اهتمامها عن الكتاب بالكامل، كان الجدال قد انتهى وسمعت وقع

اقدام روزا بكعبيها العاليين يطرطقان بسرعة فوق الممر، وسيارة مرافقها تقلع بقوة.

طوحت برونا ساقيها عن السرير، ودست قدميها في خف منزلي، وفتحت الباب تسرع نحو الردهة.. حين اضاءت النور، وجدت روزا تستند إلى الباب من الداخل تخنقها العبرات والدموع. فتقدمت منها تفتح ذراعيها:

- روزا.. حبيبتي..؟ ماذا حدث؟

نسيت كل اخطاء اختها، النصف شقيقة، نسيت حالة غرفة نومها المزرية التي تتركها لها كل يوم لترتبها، ونسيت انانيتها الدائمة وفظاظتها معها... ولم تحس سوى بالقلق والتعاطف... فعلى أية حال هذه الفتاة الصغيرة كانت وليدة زواج محطم، وأب هو اسوأ مثال لها.

في البداية كانت روزا هستيرية لدرجة لم تفهم منها برونا شيئاً، وبالتدريج هدأت على كتف أختها، ورسمت لها صورة لما خشيت أصلاً أن يحدث لها... في الطريق إلى المنزل اوقف مرافقها السيارة في غابة حيث حاول الاعتداء عليها. لكنها تمكنت من مقاومته، وبدا أنها كانت محظوظة للخلاص من الاغتصاب.

كانت روزا مستغرقة في النوم حين تركتها برونا... ومضى وقت طويل قبل أن تمكنت برونا من النوم. كل ما كانت ترجوه أن تكون تجربة أختها المرعبة هذه رادعة بما يكفي.. لو أن براد أب ملائم محترم، لقالت له ما حدث، وتركته يتعامل مع الرجل الذي حاول اغتصاب ابنته، لكن من هو؟ انها لا تدري بعد. وقد لا يكون أحد شركاء روزا العاديين في المرقص.. وربما يكون واحداً

جديداً للمنطقة.. ربما سائح مارّ وسرعان ما يختفي.

في الصباح، افاقت روزا مع إحساس بصداع حاد، منعها من الذهاب إلى العمل.. فقررت برونا أن تستخدم الدراجة النارية لتذهب إلى السوق المفتوحة التي تقام مرة في الاسبوع قرب الميناء.

- روزا.. هل كان من اوصلك بالامس من المحللين ام غريب؟ اذا كان من الشبان، يمكن ان نشتكيه لعائلته.

- لقد كان اميركيا، وليس له عائلة.

- أتعني أنه احد الهيبين الذين يجوبون البلاد؟

- لا.. انه يعيش على مركب.. ويعزف الغيثار في مطعم «غالوروزد»

- شهقت برونا:

- ماذا؟ لا أصدق!

- ماذا تعني؟ أنت لا تعرفينه!

- لا.. لا اعرفه في الواقع. لقد تحدثت إليه.. بيدرو يعرفه، وشاهدته يعزف حين تعشينا هناك.. وبدا لي رجلاً.. طيباً.

ردت روزا بغضب:

- حسناً.. انه ليس هكذا.. انه حيوان.. متوحش.. قذر. ولا استطيع تحمل رؤيته مجدداً... ولا تتحدثي بالامر برونا.. لا اريد مجرد التفكير بما حدث.

وعادت إلى النوم... فتوجهت برونا إلى المطبخ حيث وقفت قرب المغسلة تنظر بذهول إلى الفناء.. كانت تحس انها تلقت لطمة قوية. اهذا هو دانيال اوزبورن الذي احتل تفكيرها ويرفض الخروج منه؟

لن يندهش بيدرو للخبر. لقد حذرها منه. . وظنت ساعتها أن حكمه وليد الغيرة. . . لكن ربما حكمها هي وليد فتنته القوية على احاسيسها.

بعد نصف ساعة، كانت في طريقها إلى البلدة فوق دراجة روزا النارية، ولم يكن هدفها الذهاب إلى السوق، بل السعي إلى دان اوزبورن لتقول له رأيها فيه.

* * *

- ٣ -

سؤ تفاهم.

في حالتها الغاضبة، نسيت برونا أن بيدرو قال لها أن مركب دان يرسو قرب مركبه. . حين وصلت الرصيف سألت امرأة تعمل على ظهر مركب صغير:

ـ عذرا. . اتعرفين أين اجد دانيال اوزبورن؟

ـ اوه. . أجل. مركبه يرسو عند نهاية الرصيف. . اسمه «لاكويلا»

ـ شكراً لك.

لاكويلا. . النسر. . لم يكن راسياً قرب الرصيف كالمراكب الاخرى، بل منفصل عنه ببضع اذرع من الماء. ابوابه مفتوحة، لكن دون أثر لصاحبه.

ـ سيد اوزبورن؟ هل انت هنا؟ سيد اوزبورن؟ فجأة تعالى نباح تبعه خروج كلب ذئب مهجّن قصير الوبر طويل الذنب، وقف على السطح واخذ ينبح من هناك، صحيح ان منظره مخيف، إلا انها

www.elromancia.com

أحست انه ليس عدائياً.. أنما يقوم بواجب الحراسة. بعد لحظات خرج دان:

- اه.. برونا.

لاول مرة، صدمتها حقيقة أنه حين اوصل روزا ليلة أمس لا بد أنه تعرّف إلى منزلها. ولهذا سارع بالابتعاد.

- اود الكلام معك.

مد سلماً خشبياً بين المركب والرصيف حيث تقف وقال:

- تفضلي..

- اذا كنت لا تمانع، افضّل الحديث هنا.

- كما تشائين. اظنها زيارة غير اجتماعية.

- صحيح!

- ماذا استطيع فعله لك؟

- هل كنت فاقد الوعي ليلة أمس، ام انك دون مبادىء بالمرة لتحاول ما حاولته مع اختي؟

- اوه.. وهل هي اختك؟ وماذا قالت أنني فعلت؟

- القليل. لقد كانت فزعة منهارة.. لكنني اردت التوضيح أنك اذا ازعجتها ثانية سنشكوك إلى البوليسيا. في الواقع لولا رفضي ان تضطر لأن تصف ما فعلته بها، لكان والدها، زوج امي، ذهب إلى الشرطة اليوم.. ومن المحتمل جداً أن يطلبوا منك مغادرة المكان. فهم لا يتساهلون مع مثيري المتاعب.. خاصة الغرباء.

- هذا صحيح.. ولهذا السبب بالذات يتوجب على زوج امك أن يفكر مرتين قبل التقدم بأية شكوى، فهو الغريب اما أنا فلقد

خدمت هذا البلد لسنوات طويلة.. واعتقد أنهم سيصدقون كلامي بدلاً من كلام فتاة طائشة تتسكع في المراقص وتتصرف بطريقة لا يرضى عنها أي أهل من الايطاليين ولا يسمحون لفتاة في مثل سنها ان تفعله.

احمّر وجه برونا، ولم تستطع الانكار أن تكون تصرفات روزا طائشة. قبل ان تستطيع الدفاع تابع:

- تقولين انها قالت القليل. ولا بد انها قالت شيئاً.. فبماذا بالضبط تتهمني؟

- قالت أنك خلال الطريق اوقفت السيارة بين الاشجار و.. تصرفت كأسوأ أنواع الانزال..

- وماذا فعلت؟ هل دافعت عن شرفها؟ أم أنها كانت خائفة من المقاومة؟ وهل تظنين أنني قد افرض نفسي على فتاة في مثل سنها؟

بمواجهته، بدا لها هذا أكثر شيء مستحيل في العالم. وردت عليه:

- لكن لقاء شخص لمرتين، لا تجعلني اعرفه تماماً... ثم لماذا تكذب روزا؟

- ربما انتقاماً لصدي لها. يقال أن الجحيم لا تتحمل النساء.. وشقيقتك الصغيرة كانت ترمي بفتنتها عليّ منذ مدة. ليلة امس حاولت اغاظتي بمرافقة شاب ارعن كان يغازلها علنا، فتدخلت واوصلتها إلى البيت صحيح أنني اوقفت السيارة لوقت قصير لكن ليس بين الاشجار او بعيداً عن الطريق. واذا كنت قاسياً معها، فليس للسبب الذي قالته، بل لاعطيها محاضرة قاسية في الاخلاق... واكملت الطريق غاضبة، وانفجرت ساخطة حين

انزلتها... ربما كان يجب أن اسلمها لك شخصياً. لكن السيارة كانت مستعارة. ولست موظفاً في المطعم لالعب دور مربية الاطفال لفتاة طفلة سخيفة.

صمت قليلاً ثم اكمل:

وبامكانك تصديقي اولاً، كما تشائين.. لكن هناك شهود كثر على ما حدث قبل ان اتولى انقاذها، ولم يبدو احد يهتم بشأنها، فالجميع كان يحس أنها لو ذهبت مع ذلك الشاب لما كان هذا تجربة جديدة لها.

حل الصمت على برونا.. وتقبلت أن ما قاله لها هو الحقيقة. فأحست بالخجل للتخمينات التي ظنتها به أمام كلام فتاة، بالرغم من أنها ليست كاذبة محترفة، إلا أن لديها مساوىء كثيرة.

قبل أن تجد كلمات الاعتذار، أكمل دان:

- إذن، ظننتني من هواة الاعتداء على القاصرات أليس كذلك؟ لكنك بعيدة عن الواقع.. فالنساء اللواتي افضلهن عادة هن في نصف عمر الرجال الذين تفضليهم أنت. وهن لا شك أكبر وأكثر حكمة من اختك الصغيرة. افضلهن مثلك.. يفهمن الدنيا.

دون توقع، تقدم اليها ليحيطها بذراعيه.. وفي ظرف بضع لحظات.. تمكن من جعلها تحس بما لم تحس به قبلاً.. ذراعاه دافئتان، رائحته عطر ما بعد الحلاقة، وليس العطر الثقيل الذي يستخدمه الايطاليون عادة. وأحست بها مضغوطة إليه.. إحدى ذراعيه تلتف على ذراعيها، بينما الاخرى تمسك برأسها تضغطه على صدره.

صحيح أن ردة فعلها لم تكن سريعة لدرجة أن تقاوم تهجمه..

اذا كان العناق يعد تهجماً.. لكنها هكذا أحست به تماماً: هجوم ليس فقط على دفاعاتها الخارجية، بل هجوم عصف بالجزء الداخلي الخاص من نفسها... برونا من الداخل... ولد فيها احساساً مجنوناً، بدائياً، ارضياً، لم تصله حتى مع خطيبها آدم من قبل مطلقاً.

مع ذلك صاحت حين تركها:

- كيف تجرؤ!

- لو كنا في مكان أكثر خلوة، لتجرأت على أكثر من هذا بكثير. ولا تقولي لي أنك لم تستمتعي أكثر من عناق رجل متوسط في العمر مثل صديقك. انه يكبرك بسنوات كثيرة.. وركوبك سيارته الفاخرة الصغيرة لن يعوضك عن فجوة العمر بينكما. أنت بحاجة إلى رجل أصغر منه بكثير.. ليرضيك.

- بيدرو بروستر ليس صديقي، كما تعني..! هو وزوجته كانا صديقان لأمي! أنتيا بروستر قتلت في حادث سير.. وبيدرو كان يحبها جداً.. والسبب الوحيد لطلبه الزواج مني، كان لأنه يحس بالوحدة القاتلة. ولانه يعرف أنني غير سعيدة.

- اتظنين هذا؟ اعتقد أنه طلبك لانه ادرك حين شاهدك بين ذراعي، كم يشتهيك.. لكن صدقيني الامر ليس هكذا... فتاة ورجل في مثل سنه، لاشيء مشترك بينهما، إلا إذا كانا أباً وابنته... كل ما يريده شريكة فراش شابة جميلة... وأنت تريدين حياة الفخامة.

صاحت ساخطة:

- حقاً؟ لكن ما حدث أنني رفضته. وأية حياة فاخرة يمكن أن

اشتهيها يمكنني العمل لاكتسبها.. أما اتهامه بالرغبة لي.. لا يجب عليك الحكم على الآخرين وفقاً لمقاييسك سيد اوزبورن. قد تنظر الى النساء كشريكات فراش، لكن الآخرين يفضلون العلاقة المكتملة.

رد بسخرية:

- اووه.. صحيح.. وأنا أفضل هذا كذلك.. لكن علاقة مكتملة يجب ان يكون اساسها الرغبة.. الآن مثلاً ارغب في أن تدخلي معي مركبي.. ومع أنك قد لا تعترفي بهذا.. اظنك ترغبين في هذا كذلك... أما مسألة أن نجد بعضنا متناسبين، فهذا أمر آخر. لماذا لا نبدأ بالتجربة؟ اصعدي الى المركب لنتناول القهوة معاً... او اذا كنت تخافين من البقاء معي لوحدك، نذهب إلى السباحة.

- لست خائفة منك.. لكنني لم اجيء إلى هنا لأمضي اليوم كله هنا.

ضاقت عيناه:

- لا.. بل جئت لتتهجمي عليّ وتتهميني بالتهجم.. لكنني لم أعرف من قبل نساء يمانعن ببعض التهجم والقسوة... وأنت لست من النوع الهش، يبدو أنك لا تنقسمين بسهولة.

- يجب أن أذهب الآن الى السوق.

وتوجهت نحو الدراجة... فلحق بها:

- اذا كنت مشغولة اليوم، فما رأيك بالغد؟

- لن تكون الدراجة معي غداً. روزا تستخدمها في الذهاب إلى عملها. ولأكون صريحة، لا أظن أنني يجب أن أقبل دعوتك.

حياتي ليست سهلة كما تبدو لك. ولا اريد اضافة متاعب لها. ثم أنني مشغولة في الغد. ربما في وقت آخر.

- حتماً في وقت آخر.. إلى اللقاء.

- إلى اللقاء.

وقادت دراجتها مبتعدة نادمة على رفضها دعوته، مع ارتياحها للخلاص من دائرة الجاذبية التي تحيط به.. حتى بعدإنتهاء المسواق، وطوال طريق عودتها إلى المنزل، كانت لا تزال تحس بأثر ذراعيه حولها.

حين وصلت، وجدت روزا تتمدد في الشمس في ثوب السباحة. ومن الواضح أنها استعادت مزاجها، فحيت برونا:

- هاي! اهناك شيء آكله..؟ اكاد اموت جوعاً!

- لماذا لم تحضري لنفسك وجبة سريعة؟ هناك خبز وجبن في المطبخ... هل رتبت فراشك؟

- لا.. وهل يهم الامر؟

- لا يهم طالما تفهمين أنني لن ارتبه لك.

وتمتمت روزا عابسة:

- تبدين ساخطة من شيء ما..

ولحقت بها إلى المطبخ حيث بدأت برونا افراغ مشترياتها ثم قالت بهدوء:

- أنا أكثر من ساخطة... انا استشيط غضباً منك روزا. الا تدركين مدى الخطأ في اختلاق القصة المزعجة التي قلتها لي حول دان اوزبورن؟ كيف تفعلين شيئاً كهذا؟ يجب أن تشكري حظك أنه كان كريم الاخلاق بما يكفي ليجيء بك الى المنزل قبل أن تجعلي من

www.elromancia.com

نفسك اضحوكة، فكيف تتمكنين من اقناعي بأنه هو النذل الذي حاول اغتصابك؟

- أتعني أنك ذهبت وقلت له؟

- طبعاً فعلت.. ألم تنتظري أن أفعل شيئاً؟ في غياب أي شخص افضل مني.. اعتبر نفسي مسؤولة عنك.

ردت الفتاة بامتعاض:

- لا تزعجي نفسك.. استطيع العناية بنفسي.

- لكن ما حدث ليلة أمس يبرهن على أنك لست قادرة.. قال دان أنك كنت مع شاب حقير.

- وبعض الناس يقولون أن دان اوزبورن ليس قديساً، لقد كان في فرقة المرتزقة الايطالية، والتي تضم كل انواع الشخصيات المشبوهة. كما أنه لم يشتري مركبه بالمال الذي يكسبه من العزف في المطاعم.. يقال أنه كسب مالاً من التهريب.. وربما المخدرات.

- أظن هذه الشائعة لها نفس اساس القصة التي اخترعتها ليلة امس. وأظن المركب لجده الذي تجاوز سن القدرة على الابحار.

- وكيف تعرفين أن له جد؟ يبدو أنك تعرفينه، لا تقولي أنك معجبة به؟

- بيدرو يعرفه، وذكر كل هذا لي. وحديثي مع اوزبورن كان حولما حدث بالامس.. ولو كنت مكانك لبقيت بعيدة عن طريقه مستقبلاً. فهو لم يكن مسروراً من سماع روايتك عما حدث. وممن المحتمل أن يعطيك درساً لن تنسيه حين يراك ثانية.

مع ان اختها كانت سبباً لتعبها، إلا أنها لم تستطع إلا الاحساس بالاشفاق عليها، فهي على طرفي نقيض مع الدنيا حتى

أنها لا تريد مهادنة احد حتى من يحاول مساعدتها.

بعد قليل لاحظت أن اختها مرتبكة وتعلوها حمرة الحرج، فلحقت بنظرتها لتشاهد شاباً صغيراً ليقف بالباب:

- مرحباً.. أنا طوني بروستر.. وصلت لتوي من روما.. لكن منزل والدي مقفل.. واعتقد أنكم اصدقاء له.. فهل تعرفون أين هو؟

- لا.. ربما ذهب إلى كاليڤاري، ساساري لعمل ما، ولا يمكن أن يكون غادر الى ابعد من الجزيرة دون أن يقول لنا. كيف وصلت إلى هنا؟

- اصدقاء لي اوصلوني في مركبهم.

- اهلاً بك لتنتظره.. تبدو متعباً. اتود بعض المرطبات. وربما حمام؟

- هذا رائع.. شكراً.

دخل الشاب ليضع حقيبته ويجلس.

- أنا برونا وهذه روزا.. ألا احضرت لطوني مرطبات روزا؟

- اعرف اسميكما من رسائل والدي.. اعتقد أنكما تعرفاني.. أعني أنني غصة في حلقه... أو كنت هكذا حتى اليوم.

آخر مرة رأى بيدرو ابنه فيها كان ملتحياً، ويتبنى نوعية من الشباب كانت تصيب والده المتحفظ بالجنون. أما الآن فشعره قصير واللحية اختفت، وثيابه كانت مثالية للصيف شأنه شأن الشبان العاديين.

وصلت روزا من المطبخ ومعها زجاجة مرطبات اعطتها له وقالت:

- سأحضر وجبة سريعة لي، أتود أن احضر لك شيئاً.

- أجل.. شكراً.. أحس بالجوع قليلاً. في الواقع بدأنا الابحار باكراً، ولم نتناول سوى القهوة.

وتابع حديثه مع روزا وهي تحضر السندويشات، حين انتهت طلبت منهما برونا الخروج الى الشرفة لتناول الوجبة كي تبدأ بالتحضير للطبخ.

المنطق، والبديهة السليمة، كانت تدل على أن النصيحة التي اعطتها لروزا حول دان اوزبورن، تنطبق عليها تماماً.. مع ذلك كانت تحس أنها مدينة له بأكثر من اعتذار لائق لأساءة حكمها عليه، وكذلك شكرها لتدخله الشهم وقررت أن افضل وسيلة لا بداء الشكر هو أن تخبز له سلة من الخبز والبسكويت البيتي وتأخذها له إلى المطعم، مع رسالة. ولو اختار بعدها أن يتصل بها... ستقطع ذلك الجسر حين تصل إليه.

في وقت متأخر من بعد الظهر عاد بيدرو، ووجد ابنه يجلس مع الفتاتين قرب بركة السباحة. فيما بعد اقترح أن يخرجوا جميعاً للعشاء، لكن برونا احتجت بأن روزا لم تكن على ما يرام هذا الصباح لتظهر علناً هذا المساء. واقترحت أن تحضر وجبة طعام لهم في منزله، لعلمها أن بيدرو يكره البقاء تحت سقف منزل يضم براد غالواي مع أن «كازبيتشوني» الآن ملك لبرونا عن طريق ابيها. وطالما أن طوني وروزا موجودان فمن غير المحتمل أن يتجاوز حدّ الصداقة مع برونا.

تناولوا الطعام في الخارج، عند بركة السباحة، التي تضاء ليلاً بأنوار تشابه الوان قوس قزح، تتوالف مع نافورات نصف دائرية

تصب في منتصفها.

بعد العشاء، وفيما طوني وروزا يرقصان عند الطرف البعيد للشرفة الطويلة التي تحيط بجانبي البركة قال بيدرو لبرونا:

- أنا مسرور ومندهش للتغييرالذي حدث لطوني منذ آخر مرة شاهدته فيها. لقد أصبح متمدناً الآن.

- لو أنه هنا منذ زمن، لاصلح من اخلاق روزا كذلك.. كم سيبقي هنا.

- اسبوعين، هكذا يقول.. معروض عليه شراكة في اعمال، وجاء يسألني اذا كنت مستعداً لدعمه ببعض المال.. فيما مضى، كنت سأرفض على الفور، لكن يبدو لي أنه في السنة الاخيرة كان يعيل نفسه، ويوفر المصروف الذي ارسله له.

- وما نوع العمل الذي سيشارك به؟

- مفروشات من صنع يدوي، ويبدو أن لهذه الصناعة طلباً متزايد. الشيء الوحيد الذي كان يحبه طوني في المدرسة كان العمل بالخشب، لكن لم يبدر في ذهني أن هذا قد يكون اساس مهنته، ومستقبله العملي.

ومن طوني، تشعب حديثهما إلى الحدائق وزراعتها. ومع أنه موضوع يهمها عادة، إلا أنها الليلة أحست بأنها بحاجة إلى رمي الجدية عنها ومشاركة الرقص، لكن ليس مع بيدرو كشريك. فهو فاقد للأحساس بالريتم الموسيقى خاصة بالنسبة للرقص الحديث.

تلك الليلة في غرفتها، بدلاً أن تقرأ كالعادة، امضت معظم وقتها تحرر رسالة لدان. لكن الامر لم يكن سهل عليها. وبعد بدايات كثيرة غير ناجحة، جلست تغطي الصفحة برسومات لا

معنى لها، تتذكر كل ما قاله لها، وما قالته له.

وبماذا أفكر..؟ هل أفكر بأن أكون فنانة؟.. بحزم وضعت برونا حداً لافكارها الخطيرة. وابعدت الورقة التي كانت تريد أن تكتب رسالتها إليه عليها، واجبرت نفسها على التركيز على الكتاب الذي كانت تقرأه إلى أن نعست ما فيه الكفاية لتطفىء النور دون المخاطرة بأن تبقى صاحية أو منغمسة في افكار من الافضل أن لا تفكر بها.

* * *

- ٤ -

تمسك بيومك

بعد اسبوع من هذا، كانت برونا في الحديقة، تسقي الزهور والنباتات حين توقفت سيارة في الخارج، وبجفاف فجائي في حلقها، شاهدت دان يخرج منها.

ـ صباح الخير.. جئت أشكرك على النماذج الرائعة لمهارتك في الطبخ. هل أنت طباخة محترفة؟

ـ أوه.. لا.. أنا مجرد هاوية. ومنذ إقامتي هنا، تعلمت شيئاً أسلي به أوقاتي. وأنا مسرورة لتمتعك بالكعك، لكن ما كان عليك أن تزعج نفسك بالمجيء لتشكرني.. كانت هذه المأكولات هدية شكر لك.

ـ لم أجيء لأشكرك فقط.. بل لآخذك في رحلة بحرية. قلت لي يوم الحادثة فوق.. إنك لم تخرجي يوماً في مركب شراعي من قبل.. وبإمكاننا قضاء اليوم كله نبحر حول الساحل، لنجد خليجاً هادئاً نسبح فيه، ثم نعود إلى المياه في الوقت المناسب لأوصلك إلى

www.elromancia.com

البيت وأعود إلى عملي في الثامنة مساء.

- اوه.. كم كنت سأحب هذا.. لكنني لا أستطيع. ليس اليوم.

رفع حاجبه:

- لا داعي للتوتر.. لم أكن أنوي ضدك شيئاً.

- ليس الأمر هكذا.. أترى، مرة في الأسبوع ازور سيدة عجوزاً تعيش بالقرب من هنا. واليوم بالذات عيد ميلادها، ولا يمكن أن أخيب أملها.

لكنه لم يكن من النوع الذي يحب الاحباط، فقال بحزم:

- صحيح.. أرى أنك لن تستطيعي التخلي عنها، لذلك سنرجيء الرحلة ونذهب إلى السباحة لساعة.. ادخلي وارتدي ثياب السباحة، وسأنهي السقاية لك.

كانت السيارة صغيرة.. وبدت أصغر بوجوده فيها بساقيه الطويلين وكتفيه العريضين.. بعد سيرهما لفترة من الوقت قال لها:

- كيف كانت تصرفات روزا الصغيرة فمنذ صدامي معها؟ لم أعد أشاهدها مؤخراً.

- لا.. أظنها خائفة مما قد تقوله لها.. كما أن ابن بيدرو جاء ليقضي وقتاً قصيراً هنا.. إنه ولد طيب، لم يتجاوز العشرين، ويبدو أنهما متفقان.

- إذن هذا ثقل ينزاح عن كاهلك، على الأقل مؤقتاً. لكن هناك غيره على ما اعتقد؟

- واحد فقط.. زوج أمي، لديه مشكلة ارتياد الحانات

والقمار. ولهذا السبب لا أستطيع العودة إلى أميركا وترك روزا معه، مع أنني لا أرغب في هذا، لأنني أحب هذا البلد.. وأنا سعيدة فيه، ويمكن أن أكون أكثر سعادة في ظروف مختلفة. لكنني لا استطيع كسب قوتي هنا، لا كما كنت في أميركا.

- ماذا كنت تتعلمين هناك؟

- علم الآثار.. ولا استطيع العمل فيه هنا، لعدم وجود حفريات أثرية. حتى مهارتي في الطباعة والعمل المكتبي لن يكون ذا فائدة لعدم اتقاني الإيطالية. وأنا هنا منذ تسعة أشهر فقط، وكنت اعتني بأمي المريضة، التي ماتت منذ ثلاثة أشهر. ومنذ ذلك الوقت وأنا أسعى لتحسين وضعي.. لكن معظم الناس هنا لا يتحدثون بالانكليزية، لذلك لم استطع تعلم الكثير.

- كي تكتسبي العلم بلغة غير لغتك، يجب أن تعيشي مع أشخاص لا يتكلمون لغتين كي لا تضطري للعودة إلى لغتك.

- كما فعلت أنت حين انضممت إلى الجيش الإيطالي.

- هذا صحيح.. بداية كان هناك متطوع الماني يتحدث الانكليزية، لكنه بعد التدريب أصبح في فرقة أخرى، ولمدة سنة تقريباً لم أتحدث سوى الطليانية.

- وما الذي جعلك تنطقها؟ قال بيدرو انك يومها كنت في الثامنة عشرة.. ألم تتردد أبداً؟

- بلى.. ترددت كثيراً. تطوعت أولاً في روما، ثم انتقلت للتدريب في نابولي، واستقر بي المقام في كورسيكا.. واذكر أنني خلال هذا الانتقال، ظننت السنين لن تنتهي.. لكن ما أن انتهى تدريبي حتى بدأت أتمتع بحياتي.

مع كل هذا لم يشرح سبب تطوعه، ولم تشأ أن تضغط الموضوع.. لكن كل هذا جنون.. إنها تحاول أن تجعل منه رجلاً متفوقاً في ذهنها.. فماذا تعرفه عنه حقاً. ولا بد أن له عيوبه كبقية الرجال.. وربما كان كارهاً للنساء ولا يمكن شفاؤه. ليس هذا فقط بل إنه غير قادر على الاستقرار في مكان واحد كما يبدو... ولا يحس أبداً بالأمان، حتى أن أي امرأة ستتزوجه ستقضي حياتها في التنقل مثل الغجر.

أخذها إلى شاطيء صغير يقع تحت ظل جرف صخري مرتفع، يتبدل فيه لون الماء من الأزرق الشاحب إلى الأزرق المخضرّ على بعد قليل. حين أخذت تخلع فستانها كانت تعلم أنه يراقبها. وكانت مسرورة لعلمها بجمال ثوب السباحة الأسود الذي أهدته لها أمها في عيد ميلادها الواحد والعشرين.

معاً، دخلا الماء.. وسرعان ما غطس تحت السطح لتلحق به. وصعدت قبل أن يصعد هو بكثير، وعلى بعد أمتار منها. ثم أخذ يضرب الماء بقوة لم تكن قادرة على مساواتها لأكثر من متر أو مترين. صحيح أنها تسبح جيداً.. لكن ليس مثله إطلاقاً.

فيما بعد وهي تطوف على ظهرها، وجهها إلى الشمس، أفكارها هادئة راضية، أحست باضطراب الماء حولها، فانقلبت لتراه يتقدم نحوها.

- جاهزة لتناول القهوة، أو بعض الطعام؟

هزت رأسها بالموافقة، وسبحا نحو الشاطيء، في المياه الضحلة وقفا، ومد يده يساعدها على اجتياز فسحة صخرية.. وجففا شعريهما تاركين قطرات الماء المالحة على جسديهما تجف من

حرارة الشمس، ثم صعدا الصخور إلى أن وصلا إلى مقهى قريب حيث جلسا إلى طاولة في التراس المظلل.

حين جاءهما الساقي بالقهوة، قال لها:

- والآن اخبريني عن علم الآثار الذي كنت تعملين به. هل كنت تعملين في الجامعة أم المتحف؟

- الجامعة مهتمة أساساً بالعناوين الكبيرة، تساعد البحاثة في الاستدلال على الأماكن التي يمكن اجراء الحفريات فيها.

- وكيف تقومين بتقفي هذه الأماكن؟

- أحياناً يكون الأمر سهلاً، وأحياناً يكون معقداً.

وبدأت تشرح له كيف يجري العمل، وتقص له مدى الإثارة التي يجدها الباحثون في تقصي دلائل توصلهم إلى المزيد والمزيد من حقائق الماضي. أحياناً يفقدون الأثر، لكنهم يجدون أشياء أخرى تتخطى ما يظنونه حائطاً مسدوداً.

بوصول الطعام، أدركت أنها أطالت الحديث، فأبدت خشيتها من أن تكون قد ازعجته، فقال لها:

- أبداً.. فما من خبير يتحدث عن مجال خبرته يكون مضجراً أبداً.

ثم لو أنني ضجرت، وهذا ما لم يحدث، فالي أنتِ أنظر إليك.

كانت تجلس بعيداً عن الطاولة لتبقي ساقيها في الشمس أخذت عيناه اللوزيتان ترتحلان ببطء من كتفيها حتى ركبتيها، وما بينهما من حنايا. وأحست بالسرور انهما محاطان بالناس، فبمجرد نظرة إليها هكذا كان يسبب بقشعريرة تمر فوق جسدها، فكيف لو كانا لوحدهما؟

وقال لها:

- يجب أن أعرفك على العجوز هانيز تيتشر. إنه في الثمانين من عمره تقريباً.. لكنه يبدو في الستين. إنه يبحث عمن يطبع له مذكراته على الآلة الكاتبة.. فهل يهمك عمل مثل هذا؟ لديه المال، وسيدفع لك. وإذا لم يكن لديك آلة طابعة بإمكانك استعارة آلتي.

- جئت بآلتي معي، وسأكون مهتمة جداً بهذا العمل.

- إنه ليس على مركبه اليوم، وإلا لأخذتك إليه في الحال.

- اوه.. يعيش على مركب؟

- أجل، فقد أمضى حياته كلها في البحر، وولد على متن سفينة، وينوي أن يموت على سفينته، هكذا يقول.

- يمكن أن أجيء في الغد على دراجتي. أحياناً استخدمها للمجيء إلى الشاطيء لسباحة مبكرة.

- لا بد أن طريق العودة صعوداً إلى المنزل حارة جداً لك؟

- قليلاً.. وأنا لا أفعل هذا في آب، هذا إذا كنت لا أزال هنا.

- أليس لروزا أقارب في أميركا ليعطوها مكاناً تسكن فيه لسنة أو سنتين؟

- لا.. لا أحد.. ثم انها لا تريد أن تسافر. تفضل الإقامة هنا.

ففكرة العمل الملتزم لا تروق لها. كما أن والدها يمكنه كسب المال بما يكفي حين يريد، بامكانه أنهاء لوحة في ثلاث ساعات وبيعها بمبلغ كبير للسواح. بإمكانه فعل نفس الشيء في أميركا.. فلو أنني أجبرتهم على العودة، ببيع المنزل من فوق رأسيهما، فلن

أكون متأكدة أن هذا سيؤثر عليهما.

- وهل المنزل لك؟

- أجل.. إنه منزل أمي، وليس منزل براد، كان يعيش مع روزا في منزل مستأجر قبل أن يتزوج أمي.

أصبح دان الآن يعرف الكثير عنها.. وكان بإمكانه أن يكون صريحاً معها.. فما الذي تعرفه عنه حتى الآن؟

حين أوصلها إلى المنزل قال لها إنهما سيتفقان على موعد للإبحار حين يراها في الغد.

كان دان ينتظرها على سطح مركبه حين وصلت في الصباح التالي، لكنه لم يلحظ وصولها لجلوسه في حجرة القيادة يثبت زراً إلى قميصه، بينما على سلك قريب كان ينشر قميصاً آخر وبنطلون شورت.. وفكرت برونا كم من الملائم لامرأة أن تعيش مع رجل يعرف كيف يبقي ثيابه نظيفة مرتبة، ولا يعتمد عليها دائماً للعناية به. ونادته:

- صباح الخير.

التفت مبتسماً:

- مرحباً.. سأكون معك حالاً.

رمى القميص من يده وقفز إلى البر، يرافقه كلبه الذي نبح عليها أول مرة. وربتت على رأس الكلب مرحبة، فأخذ يهز ذنبه، مع أنه حاول تجنب محاولة ربتها على رأسه.. مد دان يده إليها فتجاوبت في الحال، لكن حين استمر في الإمساك بيدها أكثر من المعتاد، علمت أنه يحاول العبث معها. فقالت في محاولة لأبداء عدم الاكتراث:

ـ أنت لا تزال ممسكاً بيدي.

نظر إليها مبتسماً:

ـ ألا يعجبك هذا؟

ـ أظن أنه يبدو.. غريباً.

ـ ليس لمن شاهدنا بالأمس.

ـ ألا يجب أن نذهب لنقابل صديقك؟

ضحك:

ـ حسناً..

وصفرّ للكلب ليلحق بهما، وسار معها فوق الرصيف. المركب التي أخذها إليها كانت تحمل اسم (فلاندرز) وقال دان حين لاحظ تحديقها في الاسم:

ـ إنه اسم القبائل الأولى التي سكنت سهول بلجيكا، ويبدو أن هانيز امتلك هذا المركب هناك.

قفز الكلب إلى المركب ونزل إلى تحت، سرعان ما حصد المالك معه.. ولولا أن دان أخبر برونا عمره الحقيقي لظنته قد تقاعد عن العمل قبل سنوات طويلة من المعتاد، صحيح أن جسده فقد لمعان بشرة دان مثلاً، لكنه لا زال صالحاً سليماً، لرجل نشيط، لا يمكن لمراقب لا يعرفه أن يقول إنه مولود في بدايات القرن.

حين قدمهما دان، قال العجوز:

ـ أنا مسرور لمقابلتك آنسة روجرز.. جعلني دان آمل في أن تساعديني، اصعدا إلى المركب.

مد لها يداً قوية لمساعدتها على القفز إلى السطح ثم النزول إلى المقصورات التحتية.. لكن النظافة والترتيب حولها لم يكن قد امتد

إلى محتويات الحقيبة التي جاء بها والمليئة بأوراق غير عادية، كان يريد ترتيبها لتصبح وثائق ومراجع سهلة قدر الإمكان.. وسألها:

ـ هل تستطيعي عمل هذا لي آنسة روجزر؟

ـ بالطبع.

ـ رائع.. متى تبدأين؟

ـ في الحال لو رغبت.

ـ ممتاز.. سأتركك هنا لأذهب إلى السوق، وسأعود حوالي الظهر.. أرجو أن تستخدمي كل حريتك في صنع القهوة وتناول ما شئت من طعام وشراب.

أراها مكان حفظ الأطعمة، في مخزن صغير قرب المطبخ. وقال دان:

ـ هناك أشياء أود شرائها كذلك، سأرافقك.. وأراك لاحقاً برونا.

نزل الرجلان إلى الشاطيء، وتركاها تغوص في اللخبطة التي تتخبط بها الحقيبة.

بعد ساعة، في حين بدأت تكوّن فكرة عن نوعية المجموعة من الوثائق، وكيف يمكن ترتيبها، سمعت شخصاً يصعد المركب.. وسألها دان:

ـ كيف تسير الأمور معك؟

ـ إنه سجل مذهل لحياة رجل.. لديه وثائق عن مرحلة دراسته الأولى.

نظر دان إلى كومة رسائل كلها في مغلفاتها تحمل طوابع من كل أنحاء العالم، ومعنونة إلى السيدة هيلين فرايزر. فقال لها:

- السيدة فرايزر كانت شقيقته، والتي احتفظت له بكل أغراضه. كانت موسوسة بالتدخير، وحين ماتت منذ مدة قصيرة، وعاد هانيز إلى بلجيكا ليصفّي شؤونها.. وجد كل هذا في درج خاص، واعتقد أنه قد يساعده في مذكراته.

- آه.. فهمت كنت أتساءل كيف توصل إلى مثلها. فلا أظن من يعيش في مركب قد يهوى التجميع، فلا مكان لديه لأشياء كهذه.

- لا.. على المركب كلما كان هناك أشياء أقل كان هذا أفضل. فحتى على البر، الممتلكات تربط الناس.. نصف ما يمتلكونه غير ضروري. وأنا أفضل ليس فقط السفر الخفيف، بل العيش الخفيف كذلك.. دون حقائب زائدة.

أيمكن أن يعني أن زوجة هي حقيبة زائدة؟

في اليوم التالي عادت لتمضي بعض ساعات ترتب الأوراق المتنافرة في ملفات مؤقتة. لكنها وجدت أن بعض رسائله لأخته لم تكن تحمل ختماً على طابع البريد، وحين ذكرت هذا له قال:

- انظري إلى الرسائل نفسها لتجدي التاريخ، ليس بينها شيء شخصي، وسأكون مسروراً لو جعلت من بين واجباتك أن تقرأيها وتنتقي من بينها ما تجدين له أهمية. اعتقد أنك تتساءلين لماذا يزعج بحار لا أهمية له مثلي نفسه بكتابة ذكرياته.

هناك سببان: الأول للتمرين الذهني، فهناك الكثير من الرجال حين يتقاعدون يتركون عقولهم تصدأ، والسبب الثاني: بما أن لا زوجة لي ولا أولاد، أرغب في ترك شيء يخلفني. وقد لا تكون مذكراتي تستحق النشر الآن، لكن لو وضعتها في مكتب

تسجيلات، فلربما حصلت على فرصة في أن يطلع عليها الناس ولو بعد مئة سنة، ليعرفوا كيف كان الناس في أيامي يعيشون.

نظر إليها مقطباً حاجبيه الكثيفين الأبيضين:

- إذا كنت تتساءلين لماذا بقيت أعزباً، فليس السبب عدم رغبتي في النساء. لكن الوحيدة التي رغبت الزواج منها كانت متزوجة. ولو كنا في مثل هذه الأيام لهربنا معاً.. وماذا عنك سيدتي الشابة؟ هل أنت من هذه السلالة الجديدة من النساء اللواتي لا يحتجن إلى رجل يرعاهن؟

- في الواقع لست بحاجة إلى أحد. لكنني اعتقد أن الأفضل أن يكون للمرأة رجلاً. فأنا لست تقدمية بما يكفي لأنظر إلى الزواج كعائق.

- وجهات نظر متعقلة.

من مكانه كان يمكنه رؤية من يمرّ على الرصيف. فتوقف عن الكلام ليحيي شخصاً ويدعوه إلى الصعود..

- تعالي إلى السطح برونا، للتشمس قليلاً.

صعدت إلى فوق، في اللحظة التي خطا فيها دان إلى المركب، فتسارعت نبضات قلبها حين ابتسم وحياها.. كان يحمل منشفة، وجهاز تنفس، وواضح أنه في طريقه إلى السباحة. صب هانيز ثلاثة أكواب من الشراب المبرد وقال:

- كنا نتحدث عن الزواج، فما هي وجهة نظرك دان؟

- لو استطعت أن أجد أرملة ثرية تبقيني مرتاحاً.. فسأتزوجها في الحال.

ضحك هانيز، وانضمت إليه برونا. لكن لمع في رأسها فكرة

أنه قد لا يكون يمزح. ولأن العجوز يعرف هذا، سأله سؤالاً يقصد من سماعها رده أن يحذرها أن دان رجل خطير على فتاة مثلها أن تحبه.

ذلك المساء، كان آخر ليلة لطوني قبل سفره.. أخذه بيدرو والفتاتان للعشاء في مطعم فاخر على الشاطيء. وقال لها بيدرو حين شاهدها ترتدي فستاناً رائعاً:

ـ أنت دائماً جميلة في كل المناسبات.

ـ شكراً لك.

وهم بتناول أول وجبة من الطعام، نظرت برونا حولها في المطعم، لتجفل حين شاهدت رئيس السقاة يحني رأسه تحية لدان.. ولم يكن دان لوحده. بل كان معه امرأة حين تحركت معه إلى الطاولة جذبت الكثير من الأنظار إليها.

كانت أكبر منه ببضع سنوات، حتى انها يمكن أن تكون في أواخر الثلاثينات، ويبدو عليها دلائل الثراء.. خاتم ماسي «سوديتير» يلمع في اصبعها، فستانها الأبيض البسيط الأنيق، يزيد بياض بشرتها، شعرها في أبهى حالاته، كلها أمور تشير إلى أنها امرأة متنعمة منذ زمن بالفخامة.. أيمكن أن يكون قد وجد لنفسه أرملة ثرية؟

لم ترغب أن يلتفت دان إليها ويراها، فأشاحت نظرها عنه بسرعة.. حين عادت بعد فترة للنظر نحوه كان مختفياً وراء مجموعة من الناس على طاولة في منتصف الغرفة بينما رفيقته لا تزال ظاهرة والشيء التالي الذي شاهدته، كان يد دان السمراء القوية تمتد إلى يد المرأة عبر الطاولة، ولمحت برونا وجهه وهو ينحني ليقبل أصابع يد

رفيقته. وفهمت برونا، ومن وجهة نظر رجل، أن مثل هذه العلاقة، أقل خطراً وتطلباً من علاقته مع فتاة صغيرة. وسمعت بيدرو يقول:

ـ يبدو أنك لا تتمتعين بالطعام كالعادة.

ـ أوه.. بلى.. أنا أتمتع به.

وعاودت الأكل بإظهار متعة أكثر.

بدا لها واضحاً كذلك، إن روزا فقدت قلبها أمام طوني، وبدا أنه يشاركها هذا. لكن برونا اعتقدت أن هذا مجرد هوى عابر، ولن يدوم.. وتمنت لو أن طوني يبقى هنا. فتحت تأثيره، توقفت روزا عن أن تكون صعبة المراس.. بل أصبحت أطباعها مرحة.. وقال لها بيدرو:

ـ لن أبقى لوحدي طويلاً.. وصلتني رسالة اليوم من ارماندو، إنه قادم مع زوجته جانين لقضاء أسبوع.. سيصلان يوم السبت.

لم تكن برونا قد قابلت ابنه الأكبر وزوجته، لكنها كانت تعرف الكثير عنهما مما كان يخبرها به بيدرو.. فسألته:

ـ وهل سيجيئا بالأولاد معهما؟

ـ لا.. سيتركانهما مع أهل جانين. يقول ارماندو أن زوجته بحاجة للراحة، فقد أصيبت بالانفلونزا الحادة خلال الشتاء وهي بحاجة إلى الهواء النقي والشمس. وهذا ما يذكرني قبل أن نغادر المطعم أن أحجز طاولة لأربعة للأسبوع القادم.

كان لا يشك مطلقاً أنها حرة. وهي في الواقع هكذا. فالرجل الوحيد الذي قد ترغب في العشاء معه، مشغول.. ومن غير

المحتمل أن يتمكن من دفع فاتورة في مطعم كهذا. ولا شك أن السيدة ذات الثوب الأبيض، ستهتم بهذا سراً.

سمعت روزا تقول لها:

- أنا ذاهبة إلى غرفة السيدات، اترافقيني برونا؟

وقفت برونا لترافقها.. في الغرفة قالت روزا:

- تعلمين كم كنت دائماً تقنعيني بالسفر إلى أميركا.. وكنت أرفض ذلك.. حسناً.. لقد غيرت رأيي. طوني يقول إنه سيسافر إلى هناك لاتمام مشروعه. ولديه صديق في بوسطن شقيقته تملك شقة هناك، وسيسألها إذا كان لي مكان معها.

- عظيم.. ولمَ لا؟ ربما سيتمكن كذلك من إيجاد عمل لك.

حين عادت الفتاتان إلى داخل المطعم، سارتا في ممر مباشر بين الطاولات نحو طاولتهما. لكن هذه كانت مسدودة الآن بأشخاص يقفون للحديث معاً، فاستدارت روزا إلى طريق آخر، ولحقت بها برونا، لتفاجأ بأنها ستمر قرب طاولة دان ومرافقته، وسرعان ما وقف دان ليستدعيها.

- مساء الخير برونا.

- أوه.. مساء الخير.

- آيرين.. هذه برونا روجرز.. آيرين إحدى المعجبات بلوحات أمك.

واكملت المرأة مبتسمة:

- وأملك العديد منها. كنت معتادة أن أشتري على الأقل واحدة عند كل معرض لها. وكنت آسفة جداً حين عرفت أنها لن تستطيع الاستمرار في الرسم.. إلا إذا كان هناك عمل لها لم ينزل

إلى الأسواق بعد.

نظرت برونا إلى دان الذي كان لا يزال واقفاً:

- لا أذكر إنني أخبرتك شيئاً عن أمي.

- لا.. شخص آخر أخبرني.

- أتساءل من؟

والتفتت الى آيرين:

- هل جئت للإقامة هنا؟

- لا.. بل أفكر بشراء منزل لقضاء العطلة فيه.. تبدو لي هذه المنطقة هادئة.. ويقول دان إن هذا أفخم مطعم هنا.

- أجل.. اعتقد هذا.. هناك أمكنة جيدة وصغيرة.

- هل لي أن أعطيك بطاقتي.. إذا سمعت عن لوحة لأمك معروضة للبيع، اتصلي بي.. أو إذا عدت إلى أميركا، وزرت نيويورك، وأردت التفرج على لوحات أمك، اتصلي بي..

- شكراً لك.. وأتمنى أن تتمتعي بإقامتك هنا.

بابتسامة شملت الاثنين، انسحبت برونا إلى طاولة بيدرو، الذي علق:

- كنت أظن عازفي الموسيقى لا يقدرون على ارتياد مطاعم كهذه.. من التي معه؟

نظرت برونا إلى البطاقة:

- إنها السيدة آيرين كاستل.. ٣٦ غرباً لشارع ريفر سايد، نيويورك.. إنها من جامعي لوحات أمي.

- وكيف عرفت من أنت؟

- دان أخبرها. ولا أدري س أخبره.. فأنا لم أفعل.

www.elromancia.com

ـ اعتقد انها التقطته من مطعم «غالوروزد» أو أنه هو من التقطها.

كي تغير الموضوع مالت إليه تهمس له:

ـ لقد نجح طوني حيث فشلنا. أقنع روزا أن الحياة في أميركا أفضل بكثير.

نظر بيدرو إلى الشابين ثم قال بهدوء:

ـ في هذه الحالة، أظنه لم يخدمها، فحياتها هنا صحية أكثر. وليس فيها مساوىء لفتاة في عمرها. ولوحدها في أميركا الله وحده يعلم ما قد يحدث لها.. وطالما أن طوني الآن قد وضع قدمه على الطريق الصحيح لا أريد أن يؤخره شيء عن السير فيها.

ـ وهل حاولت ثني طوني عنها؟

ـ لا.. لا.. لن أقول شيئاً له.. فلا أريد إفساد علاقتهما وأنا واثق أنه في بحر أسبوع من سفره سينساها.

ـ أجل.. ربما.

لم يتطرقا إلى الموضوع نفسه حين عادا إلى منزله وجلسا يراقبان طوني وروزا يرقصان على طرف الشرفة البعيد. ثم تركت روزا هناك وعادت إلى المنزل، وأصرّ بيدرو على إيصالها. في منتصف الطريق، وضع يده على ذراعها التي كانت مطوية لتمسك بسلسلة ذهبية من مخلفات جدتها لها. وقال:

ـ هناك شخص واحد أنا مستعد لأن أساهم في محاولة إصلاحه.. مع أنني بصراحة اعتقد أن الوقت قد فات. لكن إذا ظننت أن من المستاهل أن تضعي براد في مستشفى خاص لبضعة شهور..

ـ لن يقبل بهذا بيدرو. فهو لا يعترف أبداً أنه مريض نفسياً.. اوه.. بيدرو.. لا..

قالت هذا حين شد على ذراعها وأوقفها، ثم ضمها إليه، عناقه لم يكن من النوع المتعذر الخلاص منه كما كان عناق دان لها. وكان يمكن لها أن تدفعه عنها، ودون الاهتمام بجرح مشاعره. وسمعته يتمتم:

ـ أدركت الآن.. أنني لم أكن رومانسياً بما يكفي المرة الماضية. تحدث عن اهتمامات مشتركة، بدلاً من القول كم أنت جميلة. والليلة تبدين أكثر جمالاً من المعتاد.. كنت أجمل امرأة في المطعم.

بدا لها كممثل سيء الأداء في تمثيلية درامية للهواة. فالكلمات لم يكن لها وقع الحقيقة.. ولأنها لم تكن حقيقية.. ولأنها كلمات دافعها أن يقول لها ما يلمس أنها تود سماعه. وحررت نفسها من ذراعيه.

ـ بيدرو.. عزيزي.. كم أتمنى لو تصدقني.. أحبك كثيراً كصديق، لكنني لن أستطيع الزواج منك. فنحن لا نناسب بعضنا مطلقاً.

ـ لا أصدق هذا.. فلطالما كنا متفقان!

ـ كصديقين.. فقط كصديقين.

ـ أعرف السبب الحقيقي.. فأنت منجذبة لذلك اللعين المتشرد الذي كان في المطعم الليلة. لست غبياً برونا.

لاحظت كيف حاولت تجاوزه، وكيف بدوت حين أوقفك القذر النذل. يا إلهي، ألا تتصورين أين هما الآن؟ إنه من النوع الذي يسعى وراء نساء لا فائدة لهن سوى لأمرين: الفراش، وما

يستطيع كسبه منهن، عن طريق هدية أو ما شابه.

ردت متصلبة:

- الغيرة.. خاصة التي لا أساس لها.. لا تناسبك أبداً بيدرو. قلت لك إنني لا أحبك. حتى ولو كنت أحبك لفكرت طويلاً قبل القبول بزواج رجل يثير المتاعب لأنني تكلمت مع شخص آخر. وأظن الأفضل أن نفترق الآن.

وتركته لتسير مبتعدة وبسرعة. لكنه لحق بها:

- أنا لم أشعر بالغيرة من قبل برونا.. لكنني أكره أن أراك تضيعين وقتك في ملاحقة شخص لا شيء يثني عليه أبداً.

- وشجاعته، وصلابته؟

- لم أعد واثقاً من هذا الآن. كل ما نعرفه عنه، أن ما لا نعرفه قد يكون الأسوأ.

- لقد كان في الثامنة عشرة حين التحق بالجيش، أي انه بالكاد كان متخرجاً من المدرسة. ولم تساورك الشكوك حوله إلا حين ظننت أنني أحبه.

- أوه.. لا.. لا أظنك تحبينه.. فأنت لا تعرفينه جيداً.. ولو أنه مغرور، فهذا على الأرجح ما أثر بك.

أرادت أن تضحك لكلامه، لكنها علمت أن هذا سيزيد من غيرته وغضبه.. فقالت بهدوء:

- دعنا لا نفسد أمسية جميلة بمشادة سخيفة بيدرو.. يكفيني ما عندي من مشاكل، دون الاضطرار إلى مواجهة مشكلتك لكن، لو رغبت في أن نبقى صديقين، عليك أن تتقبل أننا لن نكون سوى صديقين.

- لن أتقبل.. ولماذا أتقبل؟ أنا أحبك.. وأنا واثق أنني سأجعلك تحبينني.

- ما من أحد يستطيع جعل آخر يحبه. فالحب يحدث أو لا يحدث. أوه بيدرو انظر إلى المسألة بمنطق.. حين أبلغ أنا في مثل عمرك الآن، ستكون أنت في السبعين.. أي رجل عجوز.

- بعض الرجال فيهم حيوية في السبعين أكثر مما في الأربعين.

بدأت برونا تفقد صبرها:

- إذا لم يكن لديك مانع في أن يقول الناس إنني تزوجتك لمالك فأنا أمانع. أكره أن أرى الناس يتهامسون عني. وهذا ما سيحصل.. وتعرف هذا.

- لن يكون تهامسهم أكثر مما حصل حين أخذت الكعك إلى دان.. لست أدري ما اسمه!

- لا اعتقد هذا.. فسكان القوارب لا يتهامسون بالشائعات كسكان البر. فلديهم ما يشغلهم.. الوقت متأخر بيدرو.. وأنا متعبة.. شكراً لك على العشاء.. وتصبح على خير.

لراحتها، لم يلحق بها.. وكان لا يزال في مكانه حين التفتت من تحت ظل الشرفة إلى حيث يقف تحت ضوء القمر.

كانت برونا لا تزال تزيل الماكياج عن وجهها حين سمعت طرقاً خفيفاً على باب غرفتها، ودخلت روزا:

- هل استطيع الحديث معك؟

- أجل.. لقد عدت باكراً.

- السيد بروستر جعل طوني يعيدني باكراً بحجة أنه يريد الحديث معه. وبدا غاضباً جداً.. هل تشاجرتما؟

ـ لا.. ليس بالشجار.. لكن اختلاف آراء. وسأكون صريحة معك روزا.. بيدرو يريد أن يتزوج ثانية، ويظنني المرشحة الأنسب لهذا.. وأنا لا أوافق معه.

صاحت روزا:

ـ وأنا لا أوافق كذلك.. إنه في عمر والدي أليس كذلك؟

ـ بل أكبر سناً في الواقع!

ـ ولا أظنه كان جميلاً وهو أصغر سناً.. طوني يشبه أمه.

أتمنى لو استطيع السفر معه غداً. لكنه لا يريد أخذي معه يقول إنني صغيرة جداً.

ـ هذا جيد منه..! ولا بد أنه يحبك كثيراً ويريد الأفضل لك.

مع أن برونا كانت تذهب كل يوم إلى الميناء لمتابعة عملها إلا أنه مر عليها أسبوع لم يقع نظرها فيه على دان.. أول ما شاهدته عندما كانت تنزل من المركب بينما كان هو يمر على الرصيف. فسألها بعد حديث عابر عن تقدم عملها في مذكرات هانيز:

ـ متى ستأتي معي للإبحار؟

ـ ظننتك مشغول في تسلية السيدة كاستل.

نظر إليها بحدة:

ـ أجل.. أمضيت يومين أجول معها في الجزيرة لكنها سافرت الآن إلى نابولي. ما رأيك بالغد، بعد أن تنتهي من عملك؟

ـ حسناً.. غداً بعد العمل. شكراً لك.

ـ أخبري عائلتك أنك ستتأخري غداً.

في اليوم التالي قالت لهانيز أنها خارجة مع دان للإبحار، فقال:

ـ آه ستتمتعي بالإبحار.. مركبة جميلة وهو بحار ماهر.. وليس مثل من يملك مركباً جميلاً ولا يعرف كيف يسيره.

باندفاع قالت:

ـ ولِمَ لا تأتي معنا؟

ـ لطف منك دعوتي يا عزيزتي.. لكنني اعتقد أن دان يريدك لنفسه فقط.

ـ أوه.. لا.. لا اعتقد هذا، على الأقل أنا لا أريده هكذا.

ـ وهل لديك شاب آخر في أميركا؟

ـ لا.. ليس الأمر هكذا.

لكن هانيز كان ماكراً ويعرف كل ما قد تفكر به، فقال:

ـ لا حاجة للقلق عزيزتي من أن يتخطى دان الحدود.. قد يكون وغداً في أمور كثيرة، لكنني واثق من أنه شريف ومهذب أمام النساء.

سألته بارتياب:

ـ أتظن هذا؟

ـ أنا لا أقول إنه قد لا يحاول شيئاً.. فسيكون فيه عيب ما إذا لم يفعل، كانت شابة فاتنة.. لكنه ليس من النوع الوقح الذي يتحول إلى مزعج إذا اوضحت له انك تودين إبقاء الأمور على مستوى الصداقة فقط.

ـ وهل قابلت صديقته السيدة كاستل؟

ـ فعلاً.. ولقد تلطفت بدعوتي للعشاء.. إنها امرأة مرحة ومتعلمة، ولها معرفة بمواضيع مختلفة.. وعرفت أنها قبل وفاة زوجها سافرت حول العالم معه.. التقيت بها أنت كذلك.

www.elromancia.com

صحيح؟

- نعم.. لكن لوقت قصير فقط. اتعرف كيف التقت بدان؟

- أظن في مكان ما من اسبانيا أو البرتغال.

- أوه.. ألم يلتقيا هنا؟

- لا.. فهما يعرفان بعضهما منذ زمن. وسمعتهما يقولان أن مياه المتوسط أكثر صفاء في المناطق الشرقية وأظنهما كانا في ماربلا.. ولا أظن أنهما متعارفان حديثاً.

حين نزلت إلى الرصيف، شاهدها دان تتقدم باتجاه مركبه، فأنزل القارب المطاطي واستقبلها فيه قرب الرصيف.. أمسك بيدها وهي تنزل إليه ثم بدأ يحاور ما بين المراكب ليصل مركبه، حين وصله أمسك بالحبال ليثبت القارب المطاطي بينما تتسلق هي السلم إلى المركب.

- سأريك الآن الأمكنة الرئيسية في المركب، ثم ننطلق، بعدها سأريك المركب كله.

انزلها إلى تحت لتجد مقصورة الجلوس كلها ستائر فضية اللون بخياطة يدوية وكذلك مفرش الطاولة والمقاعد.. لكن مهما كان هناك وراء الخزائن أو طاولة الطعام، فلا يوجد شيء يدل على أنها خاصة أو يدل على طبيعة صاحبها.

سألته حين برزا إلى النور:

- أهناك شيء يمكن أن أساعد فيه؟

- كنت تعملين طوال اليوم.. فاستريحي.

ما أدهش برونا، هو فعالية حركاته، واقتصادها على ما هو مفيد، وسرعته في عمل كل شيء لوحده.. وتركا الميناء بقوة

المحرك. ثم غيّر الاندفاع إلى الأشرعة عندما خرج من الخليج إلى المياه المفتوحة. خبرة برونا في الملاحة لم تكن تتعدى السفر في مركب نقل من وإلى الجزيرة.. لكنها سرعان ما اكتشفت أن الأبحار في مركب شراعي خاص هو أمر جديد مزيج من الانفعال المبهج والهدوء. ما عدا بين حين وحين رفّة شراع جانبي، أو ضربة موج مرتفعة إلى جانب المركب، وصوت الريح يملأ الأشرعة.

أغمضت برونا عينيها وهي مستلقية على المقعد الطويل، كي تنعم بالهدوء لمسافة ميل أو يزيد بعيداً عن ضجيج الميناء وزحام السواح.. وفتحت عينيها لترى دان يقف أمامها وفي كل من يديه كوب عصير مثلج.

- ما هذا..؟

- عصير البرتقال، مع قليل من المياه الغازية.

بعد أن أخذت الكوب وتذوقت المزيج المدغدغ سألت:

- إلى أين نحن ذاهبان؟

- إلى خليج على الساحل، مع قليل من الحظ سنكون فيه لوحدنا.. أود الاستغناء عن راديوات المتنزهين.

هل هذا هو السبب الوحيد لسعيه إلى العزلة؟

- وكم هي قوة الريح اليوم؟

- أظنها من «القوة الرابعة» ريح خفيف.. امسكي لي كوبي للحظات.

وتوجه إلى ممر بين حافة المركب ومقصورة القيادة لإجراء بعض التعديلات في الأشرعة، وحين عاد جلس قربها متلاصقاً أكثر من الأول. وتساءلت ما إذا كان عليها الابتعاد قليلاً. لكن لو أن

التغيير في مكانه الأصلي لم يكن مقصوداً، فأقل حركة تقوم بها ستجعله يقترب أكثر، ومتعمداً هذه المرة.

وصلا الخليج الصغير حيث مقصدهما.. ورمى المرساة قرب مكان أفسحت الصخور فيه مجالاً لشاطيء رملي القعر، حيث المياه زرقاء شاحبة متغيرة عن لون المياه التي كانا يبحران فيها.. من الشجيرات المتشابكة المعلقة على حوافي الجرف الصخري الأحمر، والتي ينام الشاطيء الرملي عند قدميه لا وصول له سوى من البحر، ارتفعت سقسقة مئات من زيزان الحصاد في سمفونيتها الدائمة. وقال لها بعد أن أمّن سلامة المركب:

ـ سأريك أين يمكنك تغيير ملابسك.

ـ لست بحاجة للتغيير، فأنا ارتدي ثوب السباحة تحت الفستان..

خلعت فستانها القصير وسألت:

ـ هل البحر هنا عميق بما يكفي لأقفز إليه من هنا؟

ـ أوه أجل.. المياه عميقة لأكثر من خمسة أمتار هنا.. بإمكانك الغطس كيفما تشائين.

بعد نصف ساعة كانت تجلس في ظل خيمة أقامها دان على الشاطيء، تمسك بيدها نوعاً من الخبز يشبه الكعك الطري مع السمسم لكن دون وجود الجبن فيه أو الشوكولا، بل السلطة وقطع من «القريدس».. وفتح صندوق تبريد كبير جاء به إلى الشاطيء فوق القارب المطاطي ليخرج منه المرطبات المعلبة.

راقبته بسعادة داخلية وهو يفتح العلب، ويصبها في كؤوس كرتونية.. وفكرت كم كان من الأفضل لو أنها تكتشف شيئاً لا

تحبه فيه.. كل شيء، تقريباً، يقوله أو يفعله يزيد من اعجابها به وأعطاها كأساً من الكولا.

ـ شكراً لك.

وهي تنظر إلى فقاقيع الغازات المتصاعدة من السائل نحو السطح لتنضم إلى مثيلاتها التي تشكل دائرة رغوة حول فم الكأس، تذكرت ليلة كان في المطعم يشرب الأنخاب مع السيدة كاستيل.. فسألته:

ـ نخب ماذا سنشرب الآن؟

ـ نخب والدي المفضل كان «سينرى ثون جور».. هل تعلمت الفرنسية في المدرسة؟

هزت رأسها نفياً.

ـ تعلمت اللاتينية لأغراض البحث ألا ترى، كما أنني لازمت الأكاديميين فقط. ولم اهتم بالفرنسية.

ـ أظنك كنت لامعة في الألعاب الرياضية.

ـ لا.. ولا هذا كذلك.. الألعاب الرياضية لم ترق لي يوماً لا كمشاركة ولا كمتفرجة.. هل لك أن تترجم لي «سينري ثون جور».

ـ انها تعني! تمسك بيومك، وتكملتها: ولا تضع ثقتك في الغد.

ـ صحيح.. سأشرب نخب هذا، وسأتمسك بيومي!

كانت على وشك أن تسأله عن خدمته العسكرية حين فاجأها بسؤال:

ـ ألا زال القذر المتوسط العمر يغازلك؟

www.elromancia.com

- لا.. لم يعد يفعل.

- ضعيف القلب.. لو كنت مكانه لما استسلمت بسهولة.

- بيدرو رجل معتدل. وليس من النوع الذي يعتبر نفسه لا يقاوم.

ضحك:

- وهو محق في هذا، إذا كنت قد رفضته بصراحة، ويعرف أنك لن تغيري رأيك.

- وماذا يبرهن هذا؟ أنا واثقة أن هناك نساء كثيرات يتقبلنه باشتياق، لو طلب منهن.

- دون شك.. فالرجال بوجود الدعم المادي لا يحتاجون إلى التفتيش بعيداً عن نساء متشوقات.

- والعكس صحيح! هل وصلتك أخبار من صديقتك السيدة كاستل منذ سافرت؟

- لا.. هل تلمحين إلى أن علاقتي مع آيرين تعتمد على الدعم المادي؟

- قلت يوماً إنك لو وجدت أرملة ثرية فستتمسك بها. والسيدة كاستل بدت لي مناسبة.. كما أنها جذابة جداً كذلك.

- هل أحسست بالغيرة ساعة شاهدتها معي؟

- الغيرة؟ لا! ما هذا التلميح السخيف! وهل أحسست بالغيرة حين شاهدتني مع بيدرو؟

- لم تكوني وحيدة معه.. وإلا لكنت فكرت أفكاراً سيئة.

لكنني كنت ألاحظ أنك تتجنبين النظر إليّ بينما تمعنين النظر بآيرين.

- كنت أتطلع إعجاباً بفستانها، وزينتها الفائقة.. وأحسست أنك كنت تفضل لو لم نتطفل عليك.

مال دان نحوها ليملأ كأسها من جديد:

- لباقتك تلك لم تكن ضرورية، فآيرين لديها العقل المتكامل كي لا تندفع إلى زواج من أجل مالها.. وارتيابك الشرير بدوافعي لا أساس له. وكلامي عن الزواج من أرملة ثرية لم أقصد به الجد. وإذا جاء يوم أحس فيه أنني أريد أن أتزوج، سأقوم أنا بالدعم المادي، أو على الأقل بحصة متساوية منه. لكنني، مثل هانيز، رجال مثلكن تماماً يا نساء اليوم المتحررات، نستطيع الطبخ والغسيل، ولسنا في حاجة ماسة لشريكة لا نحتاجها إلا لغرض معين. ونحن نسمع أن الزوجات أقل حماسة في هذا المضمار من الصديقات.

- اعتقد أن هذا يعتمد على مدى لياقة أزواجهن.. وهانيز أعزب لأن من اختارها للزواج تزوجت من غيره. وجيله كان لا يطلق بالسهولة التي تتم اليوم.

رفع حاجبه ساخراً:

- أهذا ما أخبرك به؟ أنا أشك أن يوجد أحد يراعي حباً ميؤساً منه لمدى العمر، مثله. وربما تكون الحقيقة أنه لم يجد المرأة المستعدة لمشاركته نوع حياته.. فمعظم النساء يرغبن في عش ثابت، بينما هو طير مسافر.

- أظن أن مركبه كان سيمثل أجمل عش في العالم ولا بد أن هناك العديد من النساء يحببن حريتهم بقدر الرجال، لكن كذلك هناك نساء مستعدات لقبول أي نوع من الحياة تناسب أزواجهن

وتجعلهم سعداء.

ـ هذه نظرية انظر إليها كرومانسية. فالنساء اللواتي يتبعن أزواجهن إلى آخر الدنيا مهما كانت الظروف متعبة.. هن أقدر الأنواع. ومن رأيي أن المرأة هي من تحدد نمط الحياة وتجعل من الزوج مرتبط بالنمط الذي تختاره.. وفي أكثر الأحيان، الرجال الذين يموتون باكراً، تقودهم نساؤهم.

ـ هذه وجهة نظر مضللة عنا! وأعرف أن الحب ليس وهماً أو ضلالاً. فوالداي كانا محبان وسعيدان، وكانا سيستمران هكذا لو بقيا على قيد الحياة.. واستطيع أن أصدق بأن هانيز كان مخلصاً لامرأة واحدة طوال حياته.. في روحه إذا لم يكن في جسده.

ـ دعينا ننهي طعامنا. لا فائدة من هذا الجدال. بعدها سنذهب للسباحة..

أنهى طعامه، ثم وقف بقفزة واحدة رشيقة، ثم سار إلى الماء. خيبة أملها كانت حادة.. مع ذلك فغلطتها أنها تركته ينزل الماء، بدلاً من أن يحتويها بين ذراعيه.

حين افترقا في الميناء بعد ساعات قال لها:

ـ هل سنقوم بنفس النزهة غداً؟

ردت دون تردد:

ـ أجل.. لكن دعني اهتم أنا بالغداء.

ـ حسناً.. حضري أنت الطعام وسأهتم بالشراب.

كانت الليالي تنقلب إلى شديدة الحرارة.. واستيقظت برونا قرابة الفجر عطشى، ونزلت إلى المطبخ لتشرب الماء المثلج.. ودون أن يكون لديها رغبة في العودة إلى النوم أشعلت قرصاً أخضراً له

رائحة لحمايتها من البرغش، وخرجت إلى الشرفة لتجلس تحت نور القمر، تشرب الماء البارد وتنظر إلى الجبال البعيدة.

كانت لا تشك أبداً أنه رجل يأخذ من النساء ما يريد. وهن يتمتعن بما يأخذه. لأنه رجل، ولأن النساء يحببن الرجل أن يكون هكذا. وليس كبيدرو المسكين: رجل ضعيف القلب! كما وصفه دان.

وماذا يمكن أن يفعله معها في الغد؟

* * *

www.elromancia.com

- ٥ -

أريدك.. لكن..

تناولا طعام الغداء في اليوم التالي على متن المركب حيث سألها دان:

- هل لا زالت وظيفتك في نيويورك متوفرة لك لوعدت؟

- لا.. لكن يمكن أن أجد غيرها.. فتقنيات البحث العلمي يمكن تطبيقها في أشياء كثيرة. شركات التلفزيون تستخدم باحثين من مختلف الاختصاصات لمعظم برامجها.. كما أن عدداً من المؤلفين المشهورين لا يبحثون بأنفسهم عن وقائع مؤلفاتهم.. بل يجري تحضير الأساس على يد أشخاص مثلي. صحيح أنني أفضّل العودة إلى اختصاصي الأصلي، لكن إذا لم أتمكن، فلست خائفة من أن لا أجد عملاً.. وماذا عن خططك المستقبلية؟ هل لديك شيء؟

وضع دان سكينه وشوكته من يده، وأخذ يدير كوبه البلاستيكي بين أصابعه ويلوي طرفه.. ثم رد:

- ليس لدي خطط ثابتة.. أفكر بالتجول في الكاريبي، ومن

هناك إلى الباسيفيك.. لكنني أفضل المتوسط حالياً.

قبل أن ترد.. تابع:

- لا أظنك توافقين على حياة شخص مثلي.. أليس كذلك برونا؟ تحسين بالارتياب تجاه رجل يخرج عن القطيع ليعيش حياته دون نظام.. هه؟

- ليس بارتياب.. بل دون حسد.. فأنا قد أحب أن أكون حرّة في الذهاب حيث أشاء وأفعل ما أريد. والدتي، كفنانة ناجحة، كان لها مثل هذه الحرية، وفي حياة والدي كانت تذهب إلى حيث يذهب، ولحسن حظها أن الأمكنة التي كان يذهب إليها كانت تحبها. ولهذا استقرا هنا. ولفترة ما بعد موته، سافرت بحرية كاملة، لكنها كانت تقول إنها تحس بالوحدة في أماكن رائعة من العالم دون وجود أحد يشاركها التجربة.. والوحدة والشفقة الخاطئة هي التي جعلتها تتزوج براد..

- وأنتِ.. ماذا تودين؟

كانت على وشك القول إنها تود أن تكون حرة لأن زوجها سيكون رجلاً حراً.. يمكن أن تقول هذا لهانيز، لكن ليس لدان مطلقاً. أخيراً أقفلت فترة الصمت التي طالت لتقول:

- ما أود الحصول عليه هو ما تمتع به والداي.. حياتان مهنيتان منفصلتان، وحياة خاصة مشتركة. لكن هذا أمر صعب تحقيقه. معظم الأحيان، أعمال الناس تتضارب.. هل تتصور أن تستمر على ما أنت فيه لبقية حياتك؟

- ربما.. لكنني لم أفكر بالمستقبل سوى مؤخراً. وهناك ميال أفضل فيها كسب معيشتي خلال النهار، وليس عبر ضباب من

دخان السكاير.. وأنا بطبيعتي استيقظ باكراً.

- وأنا كذلك.. أكره أن يفوتني ساعات الصبح الأولى.. صحيح أنني لم أكن معتادة على هذا في نيويورك... لكن هنا.. وبما يحيط بنا من جبال، الصباح وكأنه قطعة من الجنة، وكذلك الشواطيء في الصباح الباكر.

كان دان قد توقف عن تناول قالب الحلوى الصغير، وأخذ ينظر إليها بتركيز مفاجيء دفعها للسؤال:

- ما الأمر؟ لماذا تنظر إليّ هكذا؟

- لأنك بهجة للنظر. خاصة حين تتكلمين عن شيء مبهج.. يجعلك هذا تبدين أكثر جمالاً.

برزت غمازتان على خديه حين بدأ فمه يبتسم.. فقالت بخفة:

- أنت تربكني.

- أنا لا أريكك الآن. لكنني أستطيع أرباكك لو أردت.. وإذا أردت أنت.

أخفضت رأسها:

- لست واثقة مما تعني؟

- لكن، لديك ريبة مقلقة بأن ما أعنيه غير محتشم.

قطعت من الحلوى لقمة، لكنها لم تلتقطها بالشوكة بل أخذت تتلاعب بها حول صحنها.. وسألت:

- وهل أبدو لك متزمتة أكثر من اللازم؟

- أبداً.. وعرفت هذا من تجاربك لعناقي.. فتحت هذه الواجهة أنت لست محتشمة أبداً. في نفس الوقت تعطين انطباعاً

أنك تملكين امكانيات كثيرة، لكن دون خبرة كبيرة.. ليس مثل روزا على الأرجح.

- ربما.. وربما لا.

بجهد استجمعت جأشها.

- أنا واثقة أن لك الكثير من الخبرة دان. لذلك يجب أن تعرف أن الرد على سؤال مثل «هل لي أن أعانقك؟» هو دائماً «لا».. هل أعجبتك الحلو؟ هل ستتركها؟

- من غير المحتمل أن أتركها.. ثم في المرة القادمة لن أسألك.

وتساءلت عما إذا كان يتحمل المزاح كما يرميه، فقالت:

- أرأيت يوماً تي شيرت مرسوم عليه شفتين ولسان يلعقهما ويقول «قبل أن تلتقي أمير الأحلام، سيمر عليك الكثير من الضفادع»؟

ضحك حتى برزت أسنانه:

- أتشيرين إلى أنني ضفدع يا فتاة؟

- لست أدري، لربما كنت الأمير، لكنني بطريقة ما، لا أظن هذا.

مضى على هذا الحال أسبوع، يأخذها كل يوم بعد الظهر للإبحار ويعلمها ما لديه من خبرة في الإبحار.. وفي كل مساء قبل نصف ساعة من موعد عمله يعيدها إلى الشاطيء ويودعها بابتسامة، وكانت تعرف، أنه يعرف، أن صبره على عدم عناقها إنما يزيد نفاذ صبرها.

كانت تطل من على حاجز المركب تراقب قنديل بحر ضخم على شكل مظلة طيران، مسترخية، قانعة بالتفرج على المخلوق

المائي... حتى أنه حين أمسك بكتفيها ورفعها ليديرها نحوه، كانت بعيدة عن الحذر، وإلى أن وعت ما ينوي فعله كانت قد أصبحت بين ذراعيه، في عناق استمر واستمر، حتى أنه بدا كغطسة عميقة إلى بحر لا مقر له من السعادة، لم تكن ترغب مطلقاً أن تطفو منها. وللحظات أصبحت مخلوقاً لا تفكير له، لا تعي شيئاً سوى البهجة والرضى في أن تكون بين ذراعي الرجل الذي أثبت أن قدرته على إثارتها أكثر من براعته في إدارة المركب.

لكن حين تأكدت أنه قد يتمادى أكثر، رفعت يديها إلى صدره تبعده عنها.. فتمتم:

- يا فتاتي العزيزة.. من سيرانا هنا؟ إذا رغبت فسننزل إلى تحت..

حاول أن يشدها معه إلى تحت، لكنها بقيت حيث هي، وقالت:

- أنت تتسرع جداً معي يا دان.

- صحيح؟ لكنني كنت أظن أنني متمهل جداً.

- حتى اليوم أجل. لكنك الآن تتسرع جداً.

- لا حاجة لهذا التوتر.. لن أجرك من شعرك إذا لم تنزلي برضاك.

- قد أرضى بعناقك.. صحيح.. لكن لا شيء آخر.. وأوضحت لك هذا منذ البداية.

- أجل.. اذكر هذا. قلت أن حياتك صعبة، ولا ترغبين في علاقة عابرة تزيدها صعوبة.

تقدم منها ثانية ليلامس خدها.. للحظات تخطف الأنفاس،

رقة لمساته جعلتها تعتقد أنه سيبوح لها بحبه أو يطلبها للزواج.. لكنه بدلاً من ذلك قال:

- هذه النزهات معاً رائعة جداً.. لكنها ليست كافية.

أريد أن أتناول الفطار معك، واعلم أنك تنتظرين حين أنهي عملي ليلاً. تعالي وعيشي معي على المركب لنكون سعيدين، وسيخف حملك بالنسبة للاثنين الآخرين.. أريديك برونا.

أرادت أن تذوب بين ذراعيه، ان تتعلق به بقوة.. لكنها همست:

- لا.. لا استطيع.. لا استطيع دان.

- لماذا برونا؟ أنت ترغبين في هذا قدر رغبتي.. أنت محتاجة للحب.. فلماذا لا تعترفي؟

- أحياناً.. أرغب في قطعة توست مع العسل إضافة إلى ما تناولته للفطار، لكن لا يمكن للمرء أن يستسلم لأي طيش يحس به. فلو فعل فسيصبح سميناً.

- لكن الحب يحسّن مظهر المرأة.

- ربما السعادة تفعل هذا. لكنني لن أكون سعيدة بأن أكون مجرد فتاة تعيش مع دان أوزبورن.. فهذا ليس من طرازي.

لم يرد عليها.. ولم تكن ردة فعله مماثلة لما تسمعه عن الرجال في مثل هذه الظروف.. لكنه قال بلطف:

- حسناً.. إذا كان هذا ما تريدين. لكن إذا غيرت رأيك، العرض سيبقى قائماً. هل نسبح الآن؟

لما تبقى من بعد الظهر تصرف وكأن شيئاً لم يكن بينهما.. ولم تستطع برونا التصديق أن هناك رجل يمكن أن يأخذ الرفض بهذه

www.elromancia.com

الطريقة المتمدنة.

كان هناك دائماً أناس يتجمهرون على الرصيف، أهل البلدة وأولاد يتصيدون، أجانب يقضون إجازاتهم، ويتمشون.. مراكب نقل تأتي وتذهب.. وبينما دخلت «لاكويلا» الميناء لتعود إلى مرساها، لاحظت برونا رجلاً اشقر الشعر يراقب عودتهما من على مقعد له فوق حاجز البحر، لكن دون أن تعرف من هو.

حين كان دان يوصلها إلى البر بالقارب المطاطي، ووقف الرجل ليزيل نظارته، صاحت برونا مذهولة مما دعا دان لأن ينظر إليها متسائلاً:

- ما الأمر؟

- إنه آدم.. صديق قديم لي.

ورفعت صوتها توجه الكلام إلى آدم:

- ماذا تفعل هنا؟

وقف عند أعلى سلم الرصيف الحجري، وهي تتسلقه:

- مرحباً برونا.. كيف حالك؟ لكن لا حاجة للسؤال، فأنت تبدين مثل صورة إعلان لسائل الحماية من الشمس.

ولحق بها دان، فقدمتهما:

- آدم بريسكوت.. دانيال اوزبورن.

وهما يتصافحان لاحظت أن آدم أجفل قليلاً حين قبضت يد دان السمراء القوية على يده البيضاء الناعمة، ربما كان دان يصافح النساء برقة، لكنه لا يفعل هذا مع الرجال.. وعلى الفور علمت أنهما لن يعجبا ببعضهما. فسألت:

- متى وصلت؟ هل أنت مارّ من هنا صدفة؟

- أنا في رحلة متجولة.. تشمل الطيران والسيارة والبواخر. لكن دون إقامة محددة، وصلت كاليفادي بالأمس من نابولي. وامضيت الليل هناك وجئت هنا هذا الصباح ليقول لي زوج أمك أين يمكن أن أجدك.

قبل أن تعلق برونا بشيء قال دان:

- يجب أن أذهب لأغير ملابسي استعداداً للعمل. وأرجو أن تتمتع بزيارتك بريسكوت.. «أديو» برونا.

قال لها آدم وهما يسيران عبر الرصيف:

- إنه شاب رائع، زميل ابحارك هذا.. ما هو؟ صاحب مطعم؟

- لا.. إنه يعزف في مطعم.

- حقاً؟ وكيف هذا؟

- ماذا تعني كيف هذا؟

- لا يمكن أن يكون هذا طريقة كسب عيشه العادية.

- ولِمَ لا؟

- لأنه عمل غريب.. ألا تظنين هذا؟ ولا يمكن أن يكون المركب له؟

- حسبما أعرف، إنه له.

- مركب بهذا الحجم ثمنه لا يقل عن خمسين ألف دولار أو يزيد.. إنه لعبة للأثرياء فقط.

- إنه ليس لعبته.. بل منزله، وأظنه في الماضي كان يكسب عيشه بتأجيره.. معظم المراكب هنا هي بيوت لأصحابها وليست لمجرد التسلية.

www.elromancia.com

ومضت تتحدث عن البلدة والميناء والأندية الرياضية فيها، لتبعد تفكيرها وتفكير آدم معاً عن دان. ولدهشتها، وجدت براد، والذي يقضي هذا الوقت من النهار في القرية، في المنزل. ولأول مرة منذ أشهر وجدته يضع خمالة الرسم على الشرفة، يرسم منظر الميناء الذي كان أكثر لوحاته نجاحاً فيما مضى.

تركت برونا الرجلين يتبادلان الحديث، وذهبت إلى المطبخ تحضر العشاء.. على الطاولة وجدت رسالة من روزا بأنها جاءت لتناول الغداء، ولكنها ستقضي سهرتها مع صديقة لها.

بعد وقت قصير أخرجت أطباق الزيتون والجبن واللوز للرجلين وقالت:

ـ أخشى أن يكون العشاء مقتصراً على هذه آدم.. كم ستدوم إجازتك؟ وما هي خطة تجوالك؟

ـ إجازتي عشرة أيام، وليس لي خطة تجول.. جئت إلى هنا لرؤيتك.

أخذ ينظر إليها وكأن لم يكن بينهما صدع مطلقاً. وسألته بحذر:

ـ هل حجزت غرفة للمبيت؟ في مثل هذا الوقت من السنة، من الأفضل الحجز باكراً لقضاء الليل.

تدخل براد:

ـ لا حاجة لك للحجز يا بنيّ. نستطيع استقبالك هنا. صحيح لا نستطيع اعطاءك غرفة لوحدك، لكن بإمكانك النوم على الصوفا.. أليس كذلك برونا؟

أخفت غيظها وقالت:

ـ أظنه سيكون مرتاحاً أكثر في الفندق.

ـ لم أكن مرتاحاً ليلة أمس في كاليفاري..

وغاص قلب برونا للقبول الظاهر لدعوة زوج أمها.. وأدركت متأخرة أنه كان عليها أن تدفعه للحجز في الفندق قبل المجيء به إلى هنا. ولربما كان براد يعتقد أنه يسدي له خدمة بدعوته.. لكن من الوقاحة أن يقبل آدم مثل هذه الدعوة.. في وقت لا بد أنه أحس أنها لا تريده البقاء هنا.

غريب كيف أن رجلاً، كان يوماً مهما جداً لها، يصبح الآن عبئاً غير مرحب به.. هل سيأتي يوم تمر به مشاعرها نحو دان في نفس المرحلة؟ هل تراه الآن عبر منظار الجاذبية فقط؟ ادراكها انها تفكر به في حين قررت أن لا تفعل، أصابها بصدمة. حين خرجت لتنضم ثانية إلى الرجلين، قال براد مقترحاً:

ـ ما رأيكما بالتمشي حتى المقهى في القرية؟

ردت برونا:

ـ أفضّل البقاء هنا، فأنا أجد المقهى مكتظاً صاخباً.. لكن إذا أردت يا آدم أن ترى شيئاً من الحياة المحلية هنا، فلا تتأخر بسببي.

سألها:

ـ ألا يوجد مكان أكثر هدوءاً نذهب إليه؟

ـ إلا إذا ذهبنا إلى البلدة، وهي مسافة بعيدة.. في الواقع أنا متعبة وأود النوم باكراً.. لو كنا نعرف أنك قادم...

قاطعها براد:

ـ أنا ذاهب إلى المقهى.. سأراك عند الفطار بريسكوت.. عمت مساء برونا..

ولوّح بيده مبتعداً. فقال آدم:

- إنه رجل طيب، زوج أمك هذا.

- أجل.. وكان يجب أن تذهب معه آدم.

- الأفضل أن أبقى معك. قلت إنك تحتاجين إلى نوم مبكر. فهل تتعبين نفسك هنا؟

- ليس إلى درجة الإفراط. يمكن للمرء الذهاب إلى حفلة ما كل ليلة.. لكنني لا أفعل هذا.

- اعتقدت أنك ستعودين إلى نيويورك.. لكن يظهر أنك أحببت المقام هنا.

- أجل.. ومن لا يحب الإقامة هنا؟ لطالما كنت فتاة ريفية مع أنني كنت أعمل في المدينة.

- لكنك هنا تعيشين دون عمل. كما اعتقد؟

- لا.. أبداً.. لدي عمل لجزء من الوقت في الصباح، وإدارة المنزل تحتل جزءاً كبيراً من وقتي.. هل أصب لك العصير بعد أم تفضل القهوة.

- العصير ممتاز.. شكراً لك. اعتقد أنني أعرف ما تفكرين به الآن.. لا بد أنك تظنين أنني وقح لظهوري هكذا فجأة.

- اعترف أنك ادهشتني.. ماذا حدث لتلك الفتاة التي كتبت تخبرني عنها؟

- لم ينجح الأمر بيننا. كانت غلطة منذ البداية. وما كان يجب أن يحدث هذا لو أن علاقتنا كانت أقوى. فلطالما ابعدتني عنك.. وكنت أفهم حاجة أمك لك.. لكن تركك لي لم يقلقك مطلقاً.

- هذا صحيح.. وكنت آمل أن الانفصال قد يجعلك تدرك..

أو يجعلك تريد نفس الالتزام الدائم الشامل الذي أريده أنا. لكنك بدلاً من هذا سعيت وراء فتاة أخرى، لتبرهن أنك على حق وأنني المخطئة.. وما كنا نشعر به نحو بعضنا لم يكن له قوة الاستمرار طويلاً.

- بالعكس.. أثبت هذا لي أنك محقة.. وأنني كنت غبياً حين لم أعرف قيمتك لدى برونا. والآن عدت إلى رشدي.. فهل تأخرت؟ هل أنت مرتبطة مع شخص آخر؟

- أنا مرتبطة بمشاكل عائلية أكثر من مشاكل شخصية.. وزوج أمي لوحده يكفي.. كذلك شقيقتي منه.. آه.. ها هي وقد وصلت..

كان هناك أوقات، لو ارتابت روزا أن برونا ترغب في البقاء وحدها مع رجل، لتعمدت العبث. أما الآن وقد تغيرت نفسيتها، فضلت أن تتركها لوحدها بعد حديث مختصر مع الزائر.. لكن برونا، بادعاء مساعدتها على تحضير عشاء لها، توسلت إليها أن لا تتركهما لوحدهما.

- ولماذا؟

- سأشرح لك في الغد.

في الصباح التالي، وآدم يوصلها إلى الميناء قال لها:

- افهم الآن ما تعنيه بالمشاكل العائلية.

وعرفت أنه لم يستطع أن ينام بينما كان براد لا يزال ساهراً يصدر الأصوات المرتفعة من غرفته.. فردت عليه:

- ولهذا لم أرغب في أن تقيم معنا. ليس لأنني لست مضيافة.. لكن ما يحدث يحرج روزا.

- حسناً.. سأجد لنفسي غرفة في فندق.

حين وصل هانيز لينقلها إلى مركبه قال:

- صباح الخير عزيزتي. قال لي دان أن لديك زائر من نيويورك. لا حاجة للعمل اليوم إذا أردت التفرغ للترحيب به.

كانت على وشك أن تقول إنه زائر غير مرحب به، ولا ترغب في تشجيعه على البقاء.. لكنها خافت أن يصل هذا إلى مسامع دان، ففضلت أن ترد بأنها تفضل الاستمرار في العمل لأن آدم لا يحتاج إلى رفقتها طوال اليوم.

لكن آخر شيء كانت تتوقعه.. أن تجد آدم ينتظرها عند الظهر، ليس على رصيف الميناء ولا جالساً على الحائط.. بل يشرب المرطبات على سطح «لاكويلا» وبانضمامها إليه، انزعجت أكثر لقوله لها أن دان سيأخذهما معاً في رحلة بحرية، وأن آدم ذهب إلى السوق وحضّر الطعام. وسرعان ما ذهب دان ليدعو هانيز للانضمام إليهم.

كم من السخرية أن يكون رجلان، لا سلطة لهما عليها.. أحدهما بعيد جداً عن هذا والآخر فقدها منذ زمن.. أن يكونا مهتمين بها هكذا.. بينما الرجل الذي لا تكاد تستطيع مقاومة جاذبيته، تقبل منها رفضها دون سؤال. لكن هذا كان بالأمس. وربما تكون خطته أن يستوعب أول رفض لها بخفة لأنه واثق أنها لن ترفضه دوماً.

وظنت أن من غير المحتمل أن يكون دان قد اتفق مع هانيز ساعة دعاه أن يلهي آدم عنها بينما يركز دان اهتمامه بها. لكن، يبدو أن هذا ما حدث. صحيح أن دان لم يستطع زعزعة دفاعاتها

إلى أي مدى خطير بوجود الآخرين، لكن كل لحظة سعادة تقضيها معه، كانت تزيد من صعوبة قدرتها على التمسك بتصميمها على قطع علاقتها معه.

واكتشفت أن آدم لا يحب البحر ولا السباحة مما جعلها تدرك أن المرء قد يعرف شخصاً لمدة طويلة دون أن يعرفه حقاً. بالنسبة لها الزواج من رجل لا يحب البحر سيكون بنفس صعوبة الزواج من رجل لا يحب القراءة والموسيقى والفن. لكنها تعرف أن دان يحب الموسيقى والقراءة.. لكن هل يحب الفن والرسم؟ ثم تذكرت انه سمع عن أمها، وذكرها أمام السيد كاستل، لكن هذا لا يعني أنه محب للفن.

لم تعد ترى دان بعد ذلك اليوم حتى آخر ليلة لآدام في البلدة، حين اقترح عليها أن تذهب معه ورجل آخر التقاه في الفندق. مع صديقته للعشاء.. شارحاً أنه قد يستفيد من معرفته مستقبلاً.

حتى قبل أن تلتقي برونا بالرجل وصديقته، كانت تجد فكرة مجالسة أناس لمجرد فائدتهما أمر مشمئز. وحين قدم آدم لها بيتر وجدت الأمر أكثر كراهية، خاصة حين نظر إليها بيتر نظرة وكأنه يفهم علاقتهما، وعرفت أنه ذو مظهر مزيف لن تستطيع مطلقاً تحمله مهما كان نفوذه وسلطته.

صديقته، لوسي، لم تكن مثله، صحيح أنها ليست ذكية جداً، لكنها ودودة مرحة. وتمتعت برونا بصحبتها، ولم تتأخر في الحديث عن الملابس والماكياج حين دعت الحاجة. ولم تجد الفتاة مضجرجة كما قال لها آدم.

بعد العشاء، تباحثوا أين سيذهبون بعدها.. بيتر الذي اشعل

سيكاراً ضخماً كريه الرائحة بغض النظر عن مشاعر الآخرين قال:

ـ أنت تعيشين هنا برونا.. ولا بد تعرفين أفضل الأماكن.

قبل أن ترد برونا قالت لوسي:

ـ أعرف مكاناً جيداً.. فتاة التقيتها عند المزيّن صباحاً وصفته لي بأنه مكان محترم للرقص، أما الباقي فكلها نوادي رقص عادية.

ـ وهل تذكرين اسمه؟

ـ طبعاً بيتر.. اسمه «غالو روزا» ويعني الديك الأحمر.

ـ كم أنت متعددة الفوائد لوسي.

وأحست برونا أنها ترغب في ركله على قفاه لسخريته بالفتاة المسكينة.. وقالت:

ـ لا أظنه المكان المناسب إذا كنت معتاداً على الأمكنة الفاخرة، وهناك مكان في الهواء الطلق..

قاطعتها لوسي:

ـ غالو روزا مكان مكيّف. ولن يكون الجو فيه حاراً.

تدخل آدم:

ـ سنجربه.. إذا لم يعجبنا، يمكننا الانتقال.

لم تكن برونا قد زارت الملهى في مطعم غالوروزو من قبل، وتمنت أن يكون المكان، مثل غيره من هذه الأماكن، معتماً كي لا يراها دان. لكنه في المطعم كان يعزف في زاوية القاعة بينما في الملهى كانت الأدوات الموسيقية موضوعة في المنتصف بحيث لم يكن مضطراً سوى لرفع رأسه ليرى كل من في باحة الرقص.

حين وصلوا، كان الموسيقيون يأخذون استراحة بينما دان يعزف لوحده على البيانو. وهم يلحقون بالساقي إلى طاولة منزوية،

تعرفت إلى نغمات المعزوفة التي طلبتها منه أول ليلة التقيا فيها. فهل هذه صدفة، أم أنه تعمد الانتقال من نغمة لا تعرفها إلى نغمة مفضلة لديها، ولها الآن مغزى خاص؟ وقالت لوسي وهم يجلسون:

ـ أحب هذا اللحن.. لكنني لا أذكر اسمه.

أجابت برونا:

ـ إنه لحن: كم مرة سأقول لك إنني أحبك!

عادت الفرقة للعزف، وبعد لحنين أو ثلاثة، عزفت لحناً ناعماً مثيراً. وطلبها بيتر للرقص، لتكتشف أنه أحد الرجال المتعبين الذين يقومون بحركات غير مرحب بها. فهي لم ترغب في أن يضع خده على خدها، ولا أن تحس بيده على خصرها.. لكن في باحة رقص مليئة بالراقصين، لم يكن من السهل أن تنسحب، وليس أمامها سوى أن تقول له بجرأة أن يتوقف عن هذا.. وقررت أن تتحمل قليلاً لكن دون قبول رقصه أخرى معه.

امتدت يد سمراء إلى كتفه:

ـ هل لي بما تبقى من هذه الرقصة برونا؟

ـ أتسمح بيتر؟ دان صديق قديم لي.

وسألها دان بعد أن تركها بيتر:

ـ من هذه الشخصية؟

ـ شخص تعرف عليه آدم في الفندق.

ـ قد يجده آدم متناسب معه، لكن ظاهر أنك لم تجديه كذلك.

ـ لا.. بل أعجبتني صديقته المسكينة، إنه شخصية رهيبة.. ولا أظن آدم معجب به، لكنه قد يكون مفيداً له في عمله.

رفع حاجباه مذهولاً:

- من أجل الفائدة يراقبك وهو يعبث معك؟

- أظنه كان يراقص لوسي.. ولم يلاحظه.

- أنا لاحظته.. وإذا كان لأحد أن يغازلك في باحة الرقص، فهو أنا.. وليس ذلك المسخ.

وضمها إليه أكثر فأكثر حتى أصبحا متلاصقين.

- أوه دان.. هذا غير ملائم.

همس في اذنها:

- ألم يعجبك؟

- وهل مسموح لك ترك العزف؟

- آخر مرة تركته كان لمصلحة روزا. ولا أظنهم سيطردوني.

إذن.. صديقك لا يقيم الآن في منزلك؟

- لا.

- أظنه حبك القديم؟

- بإمكانك قول هذا.. أجل.

- هل كان يشعل فيك النار برونا؟

- في يوم ما كنت مولعة به.

- وأظنه يضيع وقته الآن.

- أتظن هذا؟ إنه يريد الزواج مني.

تراجع عنها بما يكفي لينظر إليها:

- أنت هاوية مثاليات.. ولن تتزوجي إلا لأجل الحب..

ولو كنت تحبيه لما كنت رقيقة هكذا بين ذراعي.

حين توقفت الموسيقى، تركها على مضض. وأدركت أنها على

الأقل ليست ضحية افتتان من جانب واحد. فهو يهتم بها بما يكفي ليرفض تصرفات بيتر وهو يرقص معها.

أوصلها إلى الطاولة، وانحنى يقبل يدها:

- شكراً برونا.. عمت مساء.

لم ينتظر أن تقدمه للباقين، بل عاد ليحتل مكانه بين أفراد الفرقة الموسيقية. وسألتها لوسي هامسة:

- أوه.. كم هو جذاب! إيطالي؟

- لا.. بل أميركي.

- لكنه يبدو ايطاليا. أليس كذلك؟ ما عدا أنه أطول طاقة.. كم أحب أن يقبّل أحد يدي هكذا!

في الطريق لايصالها إلى منزلها أوقف آدم السيارة إلى جانب الطريق.. والتفت إليها:

- برونا.. لأجل الله كوني متعقلة، أنا موافق معك بأن أوزبورن جذاب، لكنه لا يفكر بك جدياً.

- يريدني أن أعيش معه آدم.. كما اردتني يوماً أن أفعل معك.

جذبها بين ذراعيه:

- لكنني الآن أريد الزواج منك.

أحست بالغرابة لأن تكون بين ذراعي رجل كانت تحبه، أو ظنت أنها تحبه. مع ذلك تبقى دون أي تأثر ما عدا العجب عن السبب الذي دعاها بعد فراقهما إلى البكاء ليالٍ طويلة. في البداية لم يدرك آدم أنها مستسلمة لعناقه دون تجاوب.. ثم بدا أن عدم استجابتها أغضبته، فبدأ يداعبها ويتحرش بها بطريقة كان يعلم أنها لن تحتملها.. وكان عليها أن تنتزع نفسها منه محتجة، فصاح بها

www.elromancia.com

بمرارة:

- لقد عاشرته.. أليس كذلك؟ لكنك كنت تبعديني عنك دائماً.. اللعنة عليه! لماذا النساء دائماً غبيات؟ أريد أن أتزوجك برونا.

- لكنك يوماً لم ترغب في الزواج مني.. آدم.

- لكنني أرغب الآن.

- أرجوك.. أوصلني إلى البيت.

ولم يعد في نفسها أي شك بأن أية علاقة مع دان مهما كانت غير شرعية ستكون أفضل بكثير من الزواج بآدم.

* * *

- ٦ -

إلى أين؟

بعد حوالى أسبوع، باكراً عند المساء، وقبل وصول روزا من عملها.. كانت برونا تغسل الخضار استعداداً لصنع السلطة للعشاء، حين سمعت صوت اقفال باب سيارة، ثم تحريك لحبل الجرس اليدوي عند الباب.

جففت يديها وخرجت عبر غرفة الجلوس لترى من القادم. لتجد دان يقف عند عتبة الباب.

- مرحباً برونا.. كيف حالك؟

- بخير.. شكراً.. ماذا جاء بك إلى هنا؟

عمداً، جعلت لهجتها مؤدبة، لكن غير مرحبة.

- جئت أبلغك أن لا تذهبي إلى الميناء غداً.. فلن يكون هانيز هناك.. لقد مرض فجأة وأخذناه إلى العيادة المحلية، وقد يبقى هناك مدة.

صاحت مصعوقة:

www.elromancia.com

- مريض؟ كان في أحسن حال حين تركته، ماذا حدث؟

- يبدو أنه أصيب بنوبة قلبية، ولحسن الحظ وصلت بعد دقائق من حصولها لازوره، فاستأجرت سيارة أخذته فيها إلى العيادة.

- لكن الخدمات في مثل هذه المستشفيات عادة يقوم بها الأقرباء، وهانيز المسكين لا أقرباء له.

- يمكنني أن أرعاه.

- وكيف يمكنك؟ إنه بحاجة لمن يبقى معه طوال الوقت، أو معظمه. ولا يمكنك العمل حتى منتصف الليل ثم الذهاب إلى العيادة لتقديم الفطار له.. لكن لا داعي للقلق.. سأفعل هذا بنفسي، وبإمكانك اراحتي لبضع ساعات بعد الظهر.

قطب قليلاً:

- لا أظنها فكرة جيدة. فأنت لم تستريحي بعد من مرض أمك، ومساعدتك لهانيز مؤخراً في كتابة مذكراته لا يلزمك بحالته.

- أعرف هذا، لكنني أحببت هانيز، ويوماً ما قد أصبح عجوزة ومريضة، وقد اعتمد على أصدقائي للعناية بي.

- في هذه الحالة، سنتقاسم هذا سوية.

في المرحلة الأولى من أيام مرض هانيز، أثبت دان أنه بنفس قدرة برونا على العناية بالرجل العجوز، وحاجاته غير الطبية، كان يحممه، يغير له الشراشف، ويقضي بقية الليل معه. حين احتجت برونا بأنها في وضع أكثر ملائمة لسهر الليل، أجبرها بحزم أن لا تجادل. كان يعمل في المطعم حتى العاشرة والنصف، لكنه توقف عن العزف في الملهى طالما كانت حال هانيز تستدعي الاهتمام.

وفكرت بييدرو وآدم، ولم تستطع تصورهما يشاركانه وجهة

نظره حول هذا. فقد يعتقدان أن التمريض عمل للنساء، والأكثر، انها كانت واثقة أن أياً منهما لن يشعر بأنه مضطر لمساعدة رجل اختار العيش بنفسه على ظهر مركب بدل العيش في بلده بأمان، تحت جناح وزارة الشؤون الاجتماعية.

بمرور الأيام، وبإمكانية أن يمر هانيز بأزمة ثانية قد بدأ يتلاشى، أخذ يمر بمرحلة قنوط. وقال:

- كنت أتمنى لو قتلتني الأزمة. لطالما كنت أخشى أن أصبح عاجزاً. وأن اضطر للعيش في ملجأ للمسنين، لا شيء أفعله سوى الجلوس ومراقبة التلفزيون. لا استطيع تحمل هذا، وأفضل الموت!

قامت برونا بما وسعها لإبهاجه ورفع معنوياته، واشارت إلى أنه متى خرج من المستشفى سيتمكن من استعادة حياته كما كانت.. فرد متجهماً:

- لفترة ما ربما.. لكنني سأجد نفسي في أحد هذه الملاجيء في النهاية، عاجلاً أم آجلاً.

بحثت أمر هبوط معنوياته مع دان في الصباح التالي.. فرؤيتها له ثلاث مرات يومياً، خلال تبادل للحراسات، جعل من المستحيل إخراجه من أفكارها.. وللإنصاف، كانت تصرفاته نحوها أكثر تهذيباً مما كانت طوال أيام معرفتها به.. ولم يتحدثا بشيء سوى حالة هانيز.

وتساءلت عما إذا كان دان قد فكر بأن ما حصل لهانيز هو قدره كذلك لو تابع حياته متجنباً رابط الزواج. ثم فكرت أنه ليس امرأة يتضاءل حظها بالزواج كلما تقدمت في العمر.. ففي سن الأربعين أو حتى الخمسين يمكن لدان أن يبقى جذاباً نشيطاً،

وقادراً على إيجاد شريكة ترافقه في آخر جزء من حياته.

لكن التفكير بحالة تعسها جعلها في مزاج مكتئب. كانت تعلم أنها لن تستطيع اقناع نفسها بزواج ليس الأفضل في كل شيء. ومع أنها محظوظة في إيجاد وظيفة رائعة لها عند الطلب، مع امكانية أن تصبح لامعة في علم الآثار.. إلا أن هذا لم يكن مريحاً لها. فهي بحاجة إلى حياة متوازنة.

إلى أن أصبح هانيز قادراً على ترك العيادة، كان في حالة أكثر مرحاً وراحة بال. نقله دان إلى مركبه، وطهت برونا غداء ترحيب بيتي للثلاثة معاً. وقال لها العجوز:

- لا استطيع شكرك بما يكفي على لطفك يا عزيزتي.

- أوه هانيز.. لم أفعل شيئاً. دان هو من ساعدك أفضل.

- أجل.. إنه شاب رائع.. ولطالما تمنيت لو أنه حفيدي.. سأترك له كل ما أملك حين أترك هذه الحياة.

لم يسمع دان كلامه لوجوده على الرصيف.. ولتوفير التعب على العجوز في الانتقال من المركب إلى الرصيف، حرك دان المركب إلى ملاصقة الرصيف. وبهذا أصبحت المركب وسكانها أكثر عرضة لفضول المارة وأقل أمناً من مختلسي النظر والسمع. لكن النزول إلى شاطىء فوق الواح خشبية مثبتة كان أسهل بكثير من التنقل بالقارب.

ودعته برونا ونزلت إلى البر، ملاحظته الأخيرة ذكرتها بأمر قاله لها بيدرو بأن دان قد تكون دوافعه للاهتمام بالعجوز ارتزاقية. لكنها واثقة أن هذا غير صحيح. وبإمكانها المراهنة بحياتها أن ما فعله لهانيز كان دافعه الشفقة والإحسان. أوصلها دان إلى المنزل،

طوال الطريق كانا صامتين. لكنه فجأة، وفي منتصف الطريق قال:

- إلى أين سنذهب من هنا؟

بداية ظنت أنه يتكلم عن الطريق، لكن بما أنه يعرف هذه الطريق، فالسؤال لم يكن له معنى لديها.. لكنه أكمل سؤاله:

- أعني.. هل ترغبين الآن في العودة إلى ما كانت الأمور عليه قبل مرض هانيز؟ أترغبين في أن لا نرى بعضنا؟

- أظن أن هذا هو الأفضل.. ألا ترى ذلك؟

- من وجهة نظري ربما.. لكن ليس من وجهة نظرك.

لم ترد برونا عليه، وبعد دقائق قال:

- لم أشأ أن استغل مرض هانيز.. لكن من جهتي مشاعري لازالت كما هي. ولا زلت أعتقد أننا سنجد سعادة كبيرة معاً. فهل يهمك كلام الناس، هذا إذا ازعج أحد نفسه بالتفكير بنا برونا؟

- لا.. ليس من جهة أنني اهتم بآراء الآخرين على وجه العموم. فمن احترم وجهة نظره كلاهما ميت.. لكنني أعرف ما كان سيكون رأي أبواي.. وما كانا ليوافقا على أن أعيش معك.

- بالطبع لا.. كل جيل له قناعاته.. ومعظم الناس يجدون صعوبة في اختراق الرموز التي كانت سائدة حين كانوا صغاراً!

- صحيح لكن هل نسبة النجاح في الحياة الزوجية أعلى الآن؟ لا أظن هذا.

- لن أجادلك في هذا.. لكن الانفعالات حين تحدث تكون أقل ألماً مما كانت عليه أيام كان الناس يندفعون إلى الزواج قبل أن يعرفوا بعضهم بعضاً.

- هذه اعذار سمعتها من قبل دان.. آدم كان يحاول اقناعي بالعيش معه، حتى كاد يقنعني.. لكن كانت ستكون تلك غلطة عمري، وأنا أعرف هذا الآن بكل وضوح.

- ألم تسمعي بالقول المأثور «نكتشف الصالح بمعرفتنا للطالح؟».

- لكنني كنت أعرف أن هذا غير صالح، لذلك رفضت، ولا زلت أرفض.

- لو كان آدم طلب منك يومها الزواج، لكنت وافقت؟

- لست أدري.. ربما..

- وإذا طلبت منك الآن الزواج مني؟

حتى سؤال افتراضي جعل قلبها يخفق، لكنها قالت بهدوء:

- «الزواج» ليس بالكلمة السحرية.. بل «الحب» وأظن أنني وأنت نفهم الكلمة بطرق مختلفة:

- حسناً قولي لي ما تعنين بكلمة حب، وسأعطيك تحديدي لها.

- صعب شرحها بالكلام. أعرف ما ليس حباً! وهي بالتأكيد لا تشمل أية علاقة غير شرعية.

- ليس بالكامل ربما، لكن إلى مدى بعيد.. خاصة في البداية. أهذا ما يزعجك؟ واقع أنني حين المسك ترتجفين؟

أبعد ذراعه عن المقود ووضعه حول كتفيها ليشدها نحوه فاستخدمت كلتا يديها لتمسك يده وتعيدها إلى المقود:

- لا تفعل هذا دان.. أنت غير عادل معي.

- لكنك ترغبين.. أليس كذلك؟

- أجل.. لكن ماذا يثبت لك هذا؟ يمكنني الظن أن لك نفس

التأثير على الكثيرات من النساء.. لكن الحب أكثر من التجاذب.. يجب أن يكون روحياً كذلك. يجب أن يكون ألفة كاملة.

- لا أظنه يكون كاملاً أبداً.. ولا بد من وجود اختلافات.

- قد تكون صغيرة.. أجل. لكن لا فجوات كبيرة أساسية.

- وتشعرين أن هناك فجوة كبيرة بيننا؟

- طبعاً.. وهذه واحدة منها.. ما كنا نناقشه.. تريد أن تكون حراً دون التزام.. وأنا..

- لا يمكنك الثقة بي.. أو على الأقل السماح لي بمعاشرتك على هذا الأساس؟ تريدين أمان الزواج وعقده الرسمي.

عند المنزل اطفأ المحرك ونزل ليفتح الباب لها:

- شكراً على ايصالك لي، تصبح على غير دان.. ووداعاً.

- لقد تربيت على أن أوصل الفتاة التي ارافقها بأمان حتى الباب.

سارا معاً، عند السلمات الموصلة إلى الشرفة قالت له:

- لن أطلب منك الدخول. أظن أننا قلنا كل شيء.

- أجل، أظن هذا أيضاً. لكن هناك شيء واحد بعد..

وضع يده على كتفها وأدارها إليه، وفي لحظة كانت بين ذراعيه، العناق الذي واجهته كان وليد تفاعل غاضب يعتمر في نفسه طوال الطريق.. في البداية قاومت لتتخلص منه، لكن قوتها لم تكن شيئاً أمامه. فقد أسرها على جسده الطويل القوي بجهد قليل.. وللحظات كان الجانب المتمدن منها يكره قوته المتفوقة، وعدم اكتراثه برغباتها بهذه الطريقة المتوحشة.

لكن هذا الاحساس لم يدم طويلاً.. فكما ثبت لها من قبل،

تحت سطح طبيعتها المتحفظة هناك أنانية بدائية كانت ترحب بهذه المعاملة الكريهة.

حين استرخى جسدها، تغيرت قبضته عليها، ولم تعد أسيرته المجفلة الرافضة.. بل شريكة مطيعة جعلها عناقه ضعيفة مهزوزة. وداعبت يداه ظهرها.. حتى أنها تخدرت.. إلى أن أمسكها على بعد ذراعيه وعيناه تبرقان، وقال بخشونة:

ـ هذا شيء لك لتذكريه، بعد خمس أو عشر سنوات، وأنت لا تزالين بانتظار فارس أحلامك. أنا لست ذلك الفارس. بل أنا رجل أبحث عن امرأة تأخذني كما أنا دون تحفظات.. فإذا غيرت رأيك.. تعرفين أين تجديني!

* * *

ـ ٧ ـ

المرأة الأخرى

لو أنها كانت حرة، لكانت ذهبت في اليوم التالي إلى الميناء لتوضح له كم تغيرت. لكن ما كان يكبحها، هو إحساسها أن عملها هذا قد يكون مثالاً سيئاً لروزي.

كشخص ناضج التفكير، كبير السن بما يكفي لأن يعيش كما يريد، أمر يختلف كثيراً عما قد تفعله شقيقتها غير الناضجة، لو تشبهت بها، وقد يقودها هذا إلى طريق من سلسلة علاقات سيئة ربما توصلها في النهاية إلى الخزي والتعاسة. وكانت برونا تعلم أن ضميرها سيكون مثقلاً بالذنب لو حصل هذا لروزا.

لكن هذه المسألة سرعان ما سويت أمامها بهروب روزا المفاجيء، باتجاه أميركا.. أول ما عرفت بالأمر، كان في اليوم الثالث حين عادت من السوق لتجد رسالة في انتظارها على طاولة المطبخ:

«عزيزتي برونا.

www.elromancia.com

في الوقت الذي تقرأين فيه رسالتي هذه سأكون فوق مركب متجه إلى نابولي.. ومن هناك سأركب القطار باتجاه روما.. ومنها إلى نيويورك. لا تقلقي، فحال أن أصل، سأتصل بطوني في بوسطن، وسيجيء ليأخذني ويهتم بأمري.. لم استطع إخبارك سلفاً، كي لا تمنعيني.. ولا أرى سبباً يدعوني لإضاعة المزيد من الوقت.. سأراك فيما بعد..

حظاً سعيداً.. روزا»

قرأت برونا الرسالة مرتين.. ردة فعلها كانت مزيجاً من القلق والارتياح.. ومن الرياء التظاهر بأنها لم تسعد بالخلاص من روزا.. لكن هل من واجبها أن تذهب خلفها؟ تتقبل الأمر الواقع، ومعه، الحرية في اتباع هواها؟

حين عاد براد، أبلغته الخبر.. كانت تتوقع أن يندهش قليلاً ثم يعبر عن عدم اكتراثه، لكن ما أجفلها هو ردة فعله الدرامية، لأب من القرون الوسطى عرف بهروب ابنته. وسرعان ما تبادر إلى ذهنه المشوش أن يذهب إلى بيدرو ليطلب منه اللحاق بروزا إلى نابولي لإعادتها، فاعترضت:

- لا يمكن فعل هذا.. إنها ابنتك، وحتى لو لحقت بها لا يمكنك اعادتها رغماً عن ارادتها.

كانت تتحمل براد منذ فترة طويلة وضجرت منه، ولقد وصلت الآن إلى قمة السخط.

- لا تقولي لي أن ذلك اليخت الضخم الذي يملكه لا يمكن أن يلحق بمركب تجاري..؟ وبالطبع يستطيع.. ومن واجبه أن يفعل.. سأذهب لأقول له، وإذا لم يعيدها في أربع وعشرين ساعة

سأبلغ الشرطة. وسأريه كيف يأمر مدبرة منزله أن لا تخدمني بشيء.. لم أسمع بمثل هذه الوقاحة من قبل!

وعرفت أن قلقه لم يكن سببه روزا، بل عدائية متأصلة ضد بيدرو. كانت تأمل أن لا يكون بيدرو في المنزل، لكنه لسوء الحظ كان هناك، وأصغى إلى هذا براد وصراخه بصمت بينما وقفت برونا جانباً تفكر بما قد يرد به حين يتوقف الآخر عن الصراخ.. ولدهشتها، قال بيدرو:

- بكل تأكيد يجب إعادة الفتاة. لكنني لا اقترح اللحاق بالمركب سأوصلك إلى مطار كالبغاري حيث ستصل إلى مطار روما قبل أن تصل هي إليه.. وأعرف أن صدمتك كبيرة غالواي، فاجلس لآتي لك بالشراب.

أي رجل له احترام لنفسه كان سيرفض ضيافة من يعتبره عدوه.. لكن براد لم يفعل.. بل إنه تهاوى على أقرب مقعد بانتظار الشراب.. وأدركت برونا أن بيدرو قد عالج الموقف بأفضل طريقة ممكنة، وانه استوعب الصدمة بصدمة.

فيما بعد حين ذهب براد إلى فراشه، قال بيدرو لبرونا:

- كنت اعني ما أقول. وسأرسله إلى روما بالطائرة غداً. ولو عرفت أن طوني شجع روزا على الهرب، وأنه ينوي الزواج منها، فلن أقف في طريقهما. مع أنني قد أحاول.. أما براد فسأرسله للمعالجة من تشتت عقله، شاء أم أبى.

- لا بأس في هذا، طالما تفعله لأجل ابنك، وليس من أجلي بيدرو.

- لا.. فقد تقبلت الآن ما كنت آمل أن لا يكون. ربما أنت

على حق.. فارق السن بيننا كبير جداً.. ونصيحتي لك أن تعرضي منزلك الآن للبيع.. فالوقت ممتاز، وإذا كان السعر معقولاً، بامكانك الخلاص منه في أسابيع. صحيح أن الدم لا يتحول إلى ماء، لكن واقع أن أمك أخطأت في زواجها من براد لا يعني أن تضطري أنت إلى دفع ثمن خطئها يا عزيزتي.. أعيدي بناء حياتك قبل فوات الآوان. بيعي المنزل وعودي إلى أميركا، وانسي كل مشاكلك هنا.

- لكن براد قد يرفض الذهاب إلى العلاج.

لكن يبدو أن لبيدرو إرادة قوية أكثر مما توقعت. ففي اليوم التالي اقنع براد بمرافقته.. وحين ابتعدا، لم تستطع برونا أن تصدق أنها أصبحت حرة أخيراً ان تذهب إلى حيث تريد.. وهذا يعني، الحرية في الذهاب إلى دان.

لكنها لم تستطع الذهاب فوراً.. بيدرو كان سيتصل بها ذلك المساء. وبعدها سيكون دان في عمله. وعليها أن تنتظر حتى الصباح. وهذا يمكن أن يكون أفضل.. إنه بمثابة فرصة للتنفس بين الماضي والمستقبل.

لحظة استيقظت في الصباح التالي، علمت أن اليوم سيكون مميزاً.. تناولت فطارها في الحديقة.. وفكرت أن هذه قد تكون آخر مرة، فهي تنوي الأخذ بنصيحة بيدرو، وتعرض كازابيتشوني للبيع.

اتصال بيدرو بها بالأمس كان مختصراً.. كانا بانتظار روزا حين وصلت مطار روما. وسيسافر الجميع إلى بوسطن لمقابلة ابنه، وسيبلغ برونا بكل المستجدات. وأحست وهي تتناول قطعة البطيخ

أنها لن تمانع فيما لو لم يتصل. فهي تريد وقتاً لتركز تفكيرها على حياتها، وأن تتجاهل الدنيا كلها.

كل أفكارها المتلبدة كانت بعيدة عن ذهنها وهي تتجه إلى الميناء.. ولم تجد دان على سطح مركبه، لكنه سرعان ما ظهر حين نادته..

بدت عليه الدهشة، وقال بسخرية:

- سالوته سنيوريتا.

ردت بتجهم مذهول للمقابلة الجافة.

- سالوته! هل لي أن أصعد.

- بكل سرور.

وانحنى لها ساخراً.. حين انضمت إليه سألها:

- ماذا استطيع فعله لك برونا؟

التفتت حولها مرتبكة، ثم قالت بصوت منقطع:

- أيمكن.. أن ننزل إلى تحت؟.. إنها مسألة خاصة!

تابع سخريته:

- ولمَ لا..؟ طالما تظنين أن سمعتك لن تتأثر.. وأنت معي في الأسفل.

- لم تعد سمعتي تهمني لقد غيرت رأيي دان.. إذا.. إذا كنت لا زلت تريدني.. فها أنا.

للحظات لم يرد.. أخذا ينظران إلى بعضهما البعض.. وأحست بالذعر من أن يكون قد غيّر رأيه. ثم أمسك بوجهها بين يديه، وشاهدت ابتسامة دافئة في عينيه قبل أن يقول:

- أريدك.

وتركها ليقفل باب المقصورة، ثم عاد ليمد يده إليها، وعلمت أنه سيأخذها إلى مقصورته.. دون تردد وضعت يدها بيده. لكن خارج مقصورته الخاصة، التي لم تشاهدها من قبل، أطلق صيحة مزيج من السخط والتأوه:

- اللعنة! لقد نسيت كونرز!

- ومن هم؟

- أناس التقيتهم عند الشاطىء ودعوتهم إلى رحلة ابحار اليوم.. سيكونون هنا بعد عشر دقائق.. آسف عزيزتي.. ليس أمامي سوى أخذهم في رحلة سريعة ثم الخلاص منهم بلباقة.

- لا يهم.. أمامنا وقت طويل. والليلة موعد عطلتك أليس كذلك؟

- صحيح.. لكن، لو لم تكن، لأخذت عطلة.

عادا إلى فوق.. وسرعان ما قال:

- ها هما قادمان.. سأذهب للقائهما.

وأشار إلى زوجين متوسطين في السن قادمان عبر الرصيف يحملان صندوق تبريد للمرطبات بينهما، ثم أكمل:

- أنت واثقة أنك لن تغيري رأيك متى أصبحنا لوحدنا ثانية؟

- لا.. فأنا هنا لأبقى معك، وسأبقى طالما نحن سعيدان معاً.

أخذهما دان إلى خليج صغير مهجور، حيث أوقف المركب.

قفز الزوجان في الماء سابحين إلى الشاطىء، لكن دان وبرونا لم يلحقا بهما.. وتقدم دان منها يسأل:

- ما الذي جعلك تغيرين رأيك؟

- أحسست أنني أستطيع الثقة بك.

- وماذا ستقول عائلتك؟

- إنهما ليسا هنا.

- أتدركين أن الحياة معي لن تكون نزهة فاخرة؟ وقد نهبط أحياناً إلى أقل من المستوى العادي؟

- أنا لست معتادة على الفخامة.. ومن يحتاج إليها؟

- معظم الفتيات قد لا يرضين بما استطيع توفيره.

- إذن أنت محظوظ بلقائي.. الزوجان كونرز رائعان أليس كذلك؟

- هذا ما ظننته حين التقيتهما.. لكن كان بالإمكان الاستغناء عنهما اليوم.. هيا بنا نغطس.

وقفز إلى الماء لتلحق به في لحظة، حين عادت إلى السطح لم يكن قد ظهر بعد، بعد قليل أحست بيد تقبض على كاحلها وتشدها إلى الأسفل، لكنها أخذت نفساً عميقاً قبل أن تغطس.

أحست بمشاعر غريبة وهي بين ذراعي دان تحت الماء في ذلك العالم المعزول. وآمنت أن قدرة رئتاه أكبر بكثير من قدرتها، وأنه قادر على البقاء تحت الماء أكثر منها بكثير. لكنها لم تشعر بالخوف معه، فثقتها به أصبحت كاملة.. فحتى الغرق لن تكون نهاية مخيفة لها وهو يعانقها.

صعدا إلى سطح الماء بعيدان عن بعضهما، ولا يمكن لأي كان يراقبهما من الشاطىء أن يعرف ما كان يحدث تحت الماء.. وابتسم لها:

- سنكون سعيدان أكثر حين نتخلص من ضيفينا.

تناولوا الغداء تحت ظل الخيمة المعتادة، وبعد فترة مناسبة ذهب

www.elromancia.com

الرجلان للغطس قرب الصخور عند أقدام المرتفع. وقالت السيدة كونرز:

- لا بد أن دان يسعدك كثيراً.

- دان.. يسعدني؟

- أحسّ أنه أكثر من رفيق إبحار لك. أم أنني مخطئة؟

- لا.. لست مخطئة لكن كيف عرفت؟

- لست واثقة، لكنني أراكما متناسبين.

- صحيح؟ كم أتمنى هذا.

فجأة أحست بأنها تغبط المرأة لذلك المحبس البلاتيني في اصبع يدها اليسرى.. كانت تؤمن بأن الحب المتبادل هو الوحيد الأساسي للسعادة.. ولا شيء سواه يهم.. لكن ستكون السعادة سماوية لو أن محبس دان في اصبعها. وأن يكون ملتزماً بالكامل كما هي ملتزمة معه.. ولا يمكنها مطلقاً أن تعتبر قوله لها «اريدك» بمثابة «أحبك».

في طريق العودة، ترك دان دفة المركب بين يدي فريد كونرز الذي اثبت أنه بحار ماهر، وتقدم ليجلس قرب برونا ويلف ذراعه حول كتفيها.. وقال:

- هل ترغبين في عشاء فاخر الليلة؟

- لا أظن أننا ستتمكن من الحصول على طاولة دون حجز مسبق. ثم انني سأرغب في العشاء لوحدنا على المركب، ألن ترغبين في هذا؟

- بلى.. لكنني لا أريدك أن تشعري بخيبة أمل.. لو كنا في وقت آخر من السنة لأبحرنا إلى جزيرة صغيرة لأسبوع أو اثنين،

لكنني لا أريد ترك العمل في مثل هذا الوقت، فهذا غير عادل.

- أوه.. لا.. معك حق.. ثم أمامنا النهار كله.

- معظم الليل.. هل أنا الأول برونا؟

- أجل.. ألم تكن تعرف؟

- فكرت بهذا.. لكنني فكرت كذلك بخطيبك السابق.

- وهل تظن أن من النادر في مثل عمري أن لا يكون هناك رجل في حياتي؟

- هذا ما يقال، ومن يدري في الحقيقة؟ وأظن أن الاحصاءات في هذا المجال لا يمكن أن تكون دقيقة.

وأمسك بأصابعها يقبلها وأكمل:

- حين نرسو يجب أن أحلق ذقني، فقد تتضايقين منها.

عاد دان لتولي قيادة المركب قبل الوصول بقليل.. خلال غيابهم، توقفت مركبة أخرى مكان رسوهم المعتاد. لكن دان هز كتفيه بعدم اكتراث وناور المركب ببراعة ليوقفها بين يخت أميركي بجانب أحد ركائز الرصيف العديدة التي تبرز إلى الخارج. حين توقفت لاكويلا أخيراً تناول الزوجان معهما القهوة قبل أن يرحلا.. وقال لهما فريد كونرز.

- لقد كان يوماً رائعاً.. تمتعنا به معاً. واتساءل عما إذا كنتما ستقبلان دعوتنا على العشاء في مطعم للسمك يقال إنه الأفضل، على بعد عشرين كيلومتراً إلى الشمال.

- سنكون مسروران.. لكننا في الواقع مرتبطان طوال الأسبوع. أيمكن أن تكون الدعوة للأسبوع القادم؟

واتفقا على موعد. ونزل الزوجان إلى البر.. وانشغل دان

بالحديث مع صاحب مركب آخر. بينما نزلت برونا إلى تحت لتغسل ما تبقى من ادوات مطبخ في المغسلة. ولم تكن تبدأ حتى عاد الى المركب، وبإحساس خجل وارتباك مفاجيء نادته:

- هل ترغب في قهوة أو شاي؟

نزل إلى تحت يبتسم لها، عيناه اللوزيتان في أوج سحرهما:

- وهل أنت جادة؟ هناك شيء واحد أرغب به.. أنت وحدك.. أنت حبيبتي.. جففي يديك، وتعالي إلى هنا.

وفعلت ما قال لها، وقلبها يخفق داخل صدرها.

- هل أنت متوترة؟ لا داعي لهذا.

وضمها إليه برفق، ثم وهي تسترخي، شد عليها أكثر.. بعد فترة أحست أنه يرجعها إلى الوراء نحو مقصورته، فأبقت عينيها مغمضتين، وتركته يقودها حيث يشاء.

في تلك اللحظات، سمعا صوتاً راعداً يضرب في مكان ما..

ورفع دان رأسه، وفتحت برونا عينيها.. سألت هامسة بارتباك؟

- ما الأمر؟

- شخص ما يدق على بوابة السلم. ماذا يريد هذا الأحمق بحق الشيطان؟

استمر الدق المرتفع الصوت. وسمعا صوتاً ملحاً ينادي دان ويتكلم الايطالية.

- يجب أن أرى من الطارق.

بحركة واحدة رشيقة أبعدها من بين ذراعيه وحملها إلى السرير المثبت إلى جوار مقصورته وفي حين بقي يداعب شعرها يرفعه عن وجهها الشاحب:

- لن أتأخر.

للحظات بعد أن تركها بقيت مستلقية مقطوعة الأنفاس، ترتجف. ثم سمعته يفتح مزلاج الباب، وأدركت أن شيئاً مهماً جداً يمكن أن يجعل أحداً يدق على الخشب بهذا الالحاح.

مع اندواخها بعاصفة المشاعر التي عصفت بها، وقفت مرتجفة، تكاد تحس بذراعيه لا زالتا حولها، وإحساس غريب مثير لا زال في أسفل معدتها. لقد جعلها تحب أنها حية فعلاً أكثر من أي يوم مضى. ولحقت به عبر فتحة الباب، لتجد شاباً ايطالياً صغيراً يتحدث إليه بسرعة لم تستطع اللحاق بكلماته.

وأشار دان إلى الشاب، الذي بدا لها مألوفاً، ثم استدار إليها:

- هذا أحد السقاة العاملين في المطعم.. وصلتهم مكالمة عاجلة لي.. ويجب أن أذهب إلى هناك حالاً، لأعيد الاتصال.

- هل أجيء معك؟

- لا.. فأنا ذاهب على الدراجة النارية خلفه.. سأعود حالاً.

وضع يده على كتفها مداعباً، ثم قفز والشاب إلى البر، وفي لحظات كانا منطلقين بالدراجة.

وجدت برونا نفسها ترتجف، فلفت ذراعيها على صدرها. وأخذت تفرك ذراعيها بقوة براحتي يدها، وكأنها فعلاً تحس بالبرد.. لكن مع أن الطقس قرب الماء أبرد منه في الداخل فإن الهواء في بداية الليل هذا كان عليلاً كالعادة، وعرفت أن ما تحس من برد سببه ردة فعل عصبية.

واقع أنها لم تستطع التخمين من يتصل بدان، أو لأي سبب، كان تذكيراً غير مرحب به بكم أنها لا تعرف الرجل الذي كانت

لولا هذه المقاطعة، ستشاركه أهم وأخطر تجربة لا تنسى في حياتها.

مرت نصف ساعة، ولم يظهر أي دليل على عودته بعد فجأة أجفلت لرؤية مالك «غالوروزو» يسير عبر الرصيف نحو «لاكويلا» لا بد أنه جاء في سيارة، وتركها خلف الحاجز.. فسارعت تنزل السلم إلى البر لتقابله:

ـ أين دان؟

ـ آه.. آنسة روجرز، مساء الخير. دان في طريقة إلى مطار كالفاري.. ومع قليل من الحظ يمكنه أن يلتقط آخر طائرة إلى نابولي.

سألت بارتباك:

ـ آخر طائرة؟

ـ أجل.. وليس أمامه سوى دقائق.. ولم يكن لديه وقت للعودة إلى هنا لأخذ حقيبته أو لوداعك. وطلب مني أن أعطيك هذا.

أخرج الرجل من جيبه ورقة وأعطاها لها.. ولم تشرح الرسالة شيئاً: «آسف.. يجب أن أسافر في الحال.. سأتصل بك ظهر الغد لأشرح لك.. دان».

عدم وجود كلمة أحبك قبل توقيعه صدمها وكأنه وجّه لها ضربة جسدية. فالناس يضيفون كلمة حب إلى كل رسائلهم.. وفي رسالة مستعجلة خطيرة كهذه، عدم وجودها له مغزى مميز أكثر من وجودها. وقال الرجل:

ـ قال إنه سيتصل بك غداً.. واعتقد أنه يقصد في المطعم.

ـ لكنه لم يقل لماذا اضطر إلى السفر بسرعة. هل قال لك ما حدث؟

هز رأسه:

ـ لم يكن لديه وقت ما أن أنهى حديثه مع ماربلا، حتى اتصل بالمطار، ثم طلب مني أن أقرضه مالاً للسفر. ثم استقل تاكسي كان يوصل بعض الزبائن إلى المطعم.. ولحسن الحظ كان جواز سفره عندي في الخزانة. فهو يفضل إبقاء أشياءه الثمينة في مكان آمن على البر.

ـ هكذا إذن.. حسناً.. علينا الانتظار حتى الغد لمعرفة ما حدث.

ـ إلا إذا لم يلحق بالطائرة، واتصل من البلدة أو من الفندق. أترغبين في العودة معي إلى المطعم في حال أنه اتصل؟

ـ لا.. شكراً لك. لكنني أتوقع أن يستقل الطائرة.. سأقفل المركب وأعود إلى المنزل، وسأراك في الغد.. عمت مساء.

ـ عمت مساء.

وهما يستديران ليفترقا، لمعت فكرة في رأس برونا، «ماربلا»؟ آخر مرة سمعت فيها اسم ماربلا كان بعد أن قدمها دان للسيدة كاستل، إنها الأرملة الثرية التي أشارت إلى المنتجع الإسباني. والتي قالت إنها تجده أكثر هدوءاً وأقل فخامة. وهو حديث كرره لها هانيز.

استدارت إلى الرجل. وقالت:

ـ قلت إن المخابرة جاءت من ماربلا.. فهل تعرف اسم المتكلم؟

هل كانت السيدة كاستل؟

- هذا صحيح.. السيدة آيرين كاستل، اتعرفينها؟

- التقينا.. امضت عدة أيام منذ أسابيع.. وداعاً.

للمرة الثانية استدارت لتعود ببطء إلى «لاكويلا».

مكالمة عاجلة طارئة.. لكن أهي عاجلة طارئة حقاً؟ أم أنها نزوة أرملة ثرية ثراؤها يكفي لأن تستدعي من تشاء ليكون قربها. ومن بعد مئات الأميال.. رجل يناسب مزاجها أفضل مما هو متوفر لها من الرجال؟

لن أصدق هذا.. ولن أصدقه.. دان لن يذهب هكذا.. لن يتخلى عني لأجلها.. ليس الليلة على أي حال.. لا يمكنه فعل هذا!

لكن.. ألا يمكنه؟ سؤال طرحه شيطان ساخر داخل رأسها. ولمَ لا؟ وما هو الحق الأقوى الذي لك عليه؟ صحيح أنك أصغر منها.. لكنها أجمل منك. فلماذا يمانع في أن يخسر الفرصة معها، في وقت ستكون تلك المرأة، وعند منتصف الليل بين ذراعيه؟

* * *

- ٨ -

ماذا سيفعل بها الغد؟

مع أن نيتها كانت أن تقفل المركب وتذهب إلى منزلها. إلا أنها بعد أن نظفت مقصورة الجلوس ورتبت المطبخ، قررت أن تمضي ليلتها هناك، فعادت إلى مقصورة نوم دان.

أمضت وقتاً طويلاً تتفرج على أشياءه، ووقفت طويلاً أمام صورة له مع زميل سلاح ببذتيهما العسكريتين، كلاهما كان يرتدي قبعة حمراء قاتمة، يعلوها ريش طويل ناعم، متدلية فوق جبهتيهما لجهة اليمين.. لكن أكمام رفيقه الخضراء الكاكية كانت غير مزينة بشيء، كان لأكمام دان إشارة قرمزية عسكرية فوق ثنية الأكمام.. ولم تعرف إلى أية رتبة تشير هذه لكنها عرفت أن الصورة التقطت له وقد مضى عليه ثلاث أو أربع سنوات في الجيش وعمره يقارب العشرين أو يزيد.

يبدو أن الصور الوحيدة التي أحب الاحتفاظ بها كانت صور أصدقاءه وجدته فقط.. فلا صورة لأبويه أو صديقاته، تعلوها

www.elromancia.com

لوحة لسفينة شراعية ضخمة، تحتها رفوف لمجموعة مختلفة من الكتب جلها عن الملاحة والبحر.

نصف خجلة من فضولها، لاحظت وجود أشياء خاصة لا بد أنها غالية الثمن، وفكرت، أهي هدية من آيرين كاستل؟ وهل دخلت آيرين مقصورته هذه؟ وهل عاشت معه أياماً سعيدة بعيداً عن ذلك الزوج الهرف الذي تركها أرملة ثرية؟

كرهت الغيرة التي أخذت تأكلها.. فهذا شعور طالما كرهته. فسارعت لترك المقصورة وصعدت إلى السطح.

بقية شعاع ذهبي في السماء، لغروب الشمس القريب، ذكرها أن دان لو لحق بالطائرة، فهو الآن في مكان ما فوق.. لكنه قد لا يكون يفكر بها، كما تفكر به، بل بامرأة أخرى تنتظره في مكان ما من بلد متوسطي قريب.

ـ مساء الخير برونا.

استدارت لتجد هانيز يقف على الرصيف.

ـ أوه.. هانيز.. مساء الخير. كيف حالك؟

ـ أحس انني على أحسن ما يرام.. سبحت مرتين، دون جهد طبعاً، فأنا اكتفي بالعوم فقط. وأنا الآن ذاهب في نزهة قبل العشاء.

ـ هل لي أن آتي معك؟

ـ بكل سرور عزيزتي.. أين دان؟ هذه ليلة عطلته.. أليس كذلك؟

ـ أجل.. لكنه مسافر.. سأقفل أبواب المركب.. ولن أتأخر.

وهما يسيران فوق الرصيف قصت عليه ما حدث، فقال

معلقاً: «هم.. هذا غريب.. غريب جداً».. وكان عليها أنها لا تعرف سبب سفره المفاجيء.. وقال هانيز:

وفي هذه الحالة ستتعشى معاً بعدها ستأخذين تاكسياً إلى المنزل أليس كذلك؟

ـ كنت سأفعل لو أنني سأذهب إلى المنزل.

وأخبرته ما حصل لروزا وبراد وأن المنزل سيعرض قريباً للبيع. وأحست بحاجة لأن تفضي له بهمومها، فتابعت:

ـ اعرف أنك لن توافق.. لكنني ودان قررنا.. أن نعيش معاً.. أعني قبل أن يحدث هذا.. والآن لست واثقة مما سيحدث بعد.

ـ اعترف أنني كنت أفضل لكما أن تؤسسا بيتاً بالمعنى القديم للكلمة. كرجل وزوجة.. وربما سيحدث هذا مستقبلاً، وأنا واثق أنكما ستكونان سعيدان.. فأنتما متناسبان تماماً.

تنهدت:

ـ أتظن هذا؟

ـ طبعاً.

ـ لست أدري.. أنا أحب دان كثيراً.. لكن لدي إحساس أن ما حدث الليلة سيغير كل شيء بيننا.. ولا يجب أن أبحث امره من خلف ظهره، لكنه غامض لي يا هانيز. لا أعرف أين ولد، ولا أين تربى، ولا شيء مما يعرفه الناس عادة عن بعضهم البعض. وهذا ما يقلقني أحياناً.

هز رأسه:

ـ أجل.. فهو يعرف كيف يخبيء أوراقه جيداً. وأنا مثلك،

أحس أن حياته الماضية واقع يفضّل أن ينساه.. لكن إذا كان يتبادر إلى ذهنك أن ماضيه قد يكون أسوداً، ولا يستطيع أن يعود إلى بلاده الأصلية خوفاً من القانون، اعتقد أن بإمكانك صرف النظر عن هذا بأمان.. فقد يكون فيه لمسة شيطان، لكنه شيطان شجاع شريف، وليس بشيطان شرير.

فيما بعد، وقد انهيا عشائهما، أخذا يتناولان الشاي السيلاني الذي يفضله هانيز على القهوة.. نجح في إبعاد تفكيرها عن دان، ولو ليس بالكامل. لكن حين عادت إلى مركب دان، لم تشعر بالارتياح لفكرة الهجران. والإصغاء للراديو لم يساعدها كما لم يساعدها الاصغاء إلى حديث هانيز من قبل.. السريران المعلقان في القمرتين الآخريتين لم يكونا محضران للنوم، فقررت النوم على سرير دان. وستجد النوم صعباً بالتأكيد مع أصوات الميناء الغريبة التي تزعج هدوء الليل الذي اعتادت عليه. وكانت الساعة الثانية صباحاً، قبل أن يحل شيء يقارب الهدوء، واكتشفت ساعتها أن المركب يشبه البيت القديم الذي يطقطق ويصدر أصواتاً لا تزعج من اعتاد عليها أبداً..

وقفت بعد نصف ساعة لتذهب إلى المطبخ لتشرب كوب ماء بارد، وهي تشرب الثاني وتتطلع عبر النافذة المستديرة على القمر، قفز إلى رأسها أمر غريب.. لماذا يحتاج دان إلى جواز سفره، إذا كان سيتوجه إلى مكان قريب مثل ماربلا..؟ قد يحتاجه فقط إذا نزل في فندق لتستبقيه الإدارة إلى حين دفع الفاتورة، وهو ليس في حاجة أصلاً للذهاب إلى نابولي.. فالمسافة بين الجزيرة والميناءين متساوية تقريباً، وكان بإمكانه الإبحار بمركبه، والنزول في ڤيلا السيدة

كاستل.

أيمكن أن يكون رفضه للزواج بسبب زواج سابق محطم؟ أيمكن أن يكون له ولد مثلاً؟ ولد يعيش مع أمه ويحبه كثيراً، وقد بلغه فجأة أنه مريض؟.. لأجل هذا، قد يهجر الإنسان أي شيء.. حتى فتاة أحلامه.

ربما هذا هو سبب عدم حديثه عن ماضيه أبداً.. ربما أن ابتعاده عن ابنه أو ابنته، يؤلمه جداً..

عادت إلى السرير، ووضعت رأسها على الوسادة التي كانت تحتضن رأسه من قبل، وهمست: أوه دان.. أحبك.. أحبك!

بالرغم من أنها لم تنم أكثر من ساعتين أو ثلاث، فقد استيقظت باكراً، وكان أول عمل لها أن غطست في البحر. الماء كانت صافية هادئة، وأحست أنها أحسن حالاً.

بعدها ذهبت إلى القرية لشراء خبز طازج للفطار. واشترت رغيفاً كبيراً لهانيز أيضاً.

الكلب، الذي رافقها حتى المتجر، ثم تركها ليلاحق قطة من قطط الميناء اللواتي اعتاد ملاحقتهن دون أن يقبض على واحدة منهن إطلاقاً، بدا قانعاً بغياب سيده دون قلق.

والقهوة تغلي، غسلت برونا الشراشف وأغطية الوسائد، الوسادة كانت مبللة من الدموع التي ذرفتها ليلة أمس.. وبدا لها الوقت لا نهاية له قبل بلوغ الظهر.. كيف ستملأ الساعات حتى حلول موعد اتصال دان بها؟

وبكل تأكيد لن ينسى.. ولا بد انه يعي عذابها وقلقها الذي سببه سفره لها.

عند الحادية عشرة، اتجهت إلى المطعم، وطلبت القهوة، وأخذت ترتشفها ببطء.. قبل نصف دقيقة من الظهيرة.. رن جرس الهاتف. وحضّرت نفسها لخيبة الأمل بأن تكون المخابرة لشخص آخر.

أحد السقاة التقط السماعة

- برونتو؟.. سي.. سي سينيور.. أونا آتيمو..

وأشار إليها.. بيد مرتجفة أخذت السماعة:

- برونا تتكلم.

- توقعت أن استلم رسالة منك تقول لي أن اذهب إلى الجحيم.

- فكرت بهذا.

- أراهن! لكنني أرجو أن تصدقي أنني فعلاً لم يكن أمامي خيار آخر. وصلت الطائرة في آخر لحظة، ولو فاتتني الطائرة، وساءت الأمور، لكنت ندمت كثيراً.

- لو ساءت الأمور؟

- مع جدي بعد انهياره. صحيح انه لم يجتز الخطر بعد، لكن حالته أفضل الآن.. لم أعرف بالخبر إلا من آيرين.. لقد أصيب كما أصيب هانيز العجوز، وعندها فقط فكرت أن أتهادن معه. هل تصورت أنني تركتك؟ فكما نحن لا شيء سوى حياة أو موت يمكن أن يفرّق بيننا.

- وكيف عرفت السيدة كاستل بأمر جدك؟ هل يعيش في ماربلا؟

- لا.. بل في لندن. حيث أنا الآن. آيرين عرفت بمرضه لأنها حفيدته كذلك. والوحيدة من العائلة، عدا جدتي، التي لي

صلة بها. وبما أن جدي يفرض على جدتي عدم الاتصال بي تصبح آيرين الوحيدة المتبقية كصلة وصل. إنه وضع معقد، سأشرحه لك حين أراك.. سأبقى هنا بضعة أيام، وآمل أن تنضمي إليّ.. وصدقيني سفري كان أصعب ما كان عليّ يوماً أن أفعله.. متى تستطيعين المجيء إلى لندن؟ اليوم أم غداً؟

- لكن دان..

- هانيز سيعتني بالكلب، وإذا كانت أجرة السفر تقلقك فانسي الأمر، سأهتم به أنا.

- لا.. لكنني اتساءل عن السيدة كاستل.. أهي أختك؟

- لا إنها ابنة عمتي.. ابنة واحدة من عمتيّ.

- لَمَ لم تقل لي هذا؟

- نبحث الأمر حين أراك. سأقفل الخط الآن واتصل بعد ساعة وهذا سيعطيك فرصة لتدبير أمر سفرك. احجزي عبر شركة الطيران من نابولي رأساً إلى لندن.. هيا.. افعلي هذا حبيبتي.

خلال الرحلة من مطار نابولي إلى لندن في اليوم التالي، كانت لا تزال برونا محتارة حول دوافع دان في طلبه أن تنضم إليه.. وسبب خلافه مع جده.. وبما أن ليس معها سوى حقيبة صغيرة، ولا شيء تصرح عنه، لم تتأخر في الخروج من المطار.. وكان دان ينتظرها حين خروجها. لكن لدهشتها لم يعانقها، بل قال بهدوء:

- مرحباً برونا.

وتولى أمر حقيبتها.. فسألته:

- ألا تزال حالة جدك تتحسن؟

- أجل.. إنه أحسن حالاً في الوقت الحاضر، سبب الأزمة انه

أصيب برعب مفاجيء، لكنه هدأ الآن، ولن يمضي وقت حتى يستعيد عافيته.. لكنني أشك أن تتمكن المستشفى كلها من تهدئته حين تعاوده عافيته.

- قلت على الهاتف أنك تصالحت معه.. لم كنت على خلاف معه؟

- سأخبرك كل شيء لاحقاً. وسأخبرك قصة حياتي كلها.. لكن قبل كل شيء، هناك شيء أريد أن أطلبه منك.

بدلاً من إكمال الطريق إلى خارج المطار، جرها إلى صف من المقاعد الخشبية وسألها:

- هل كنت آسفة حين اضطررت للسفر؟

- طبعاً.. وأنت؟

مراقب عادة، ما كان ليلاحظ أي تغيير في قسمات وجهه، لكن برونا كانت تجلس ملاصقة له، ركبتاهما تكادان تتلامسان، وشاهدت الوميض المفاجيء في عينيه.

- بالنسبة لي.. بدا الأمر سيئاً جداً لاضطراري إلى السفر في تلك اللحظة. لكن فيما بعد.. حين أصبحت في حالة ذهنية أصفى، بدأت أنظر إلى الأمر من وجهة مختلفة.. ولو أنك صادقة مع نفسك، لاعترفت أنك ارتحت.. فأنت لا شك تفضلين نوعاً آخر من شهر العسل.

لم تستطع الرد عليه دون أن تعترف بحبها له، فصمتت، وتابع:

- خلال سفري بالطائرة، لا شيء يشغلني عن التفكير، أدركت للمرة الأولى في حياتي، أن سعادة شخص آخر أهمّ لي من

سعادتي.. كنت دائماً أحب جدتي، لكن ليس لدرجة أن أفعل ما يأمرني به العجوز.. لكن، اكتشفت أنني لأجلك أريد العودة لأكون مواطناً صالحاً. كل الأمور التي ما كانت تهمني يوماً ولا تهمني الآن، بدت مهمة لأنها ستجعلك سعيدة. أنا.. أطلبك للزواج برونا.. أحبك وأريد أن أقول متفاخراً «هذه زوجتي»! فهل تقبلين بي زوجاً لك؟

كان هذا هو الشيء الوحيد الذي لم تجرؤ أن تسمح لنفسها أن تأمل به، منذ دعاها حبيبتي في الهاتف. فأجابت بصوت أخذ يرتفع من الهمس إلى صراخ السعادة:

- أوه.. دان.. اتحتاج لسؤال؟.. أجل.. أجل.. أجل!!

احتضنها إلى صدره، ولأول مرة بين ذراعيه أحست أنها تحس بأكثر من الحب له.. فالحب جزء من إحساس جديد انبثق بينهما، ولم يعد هو كل شيء. فهما الآن صديقان كما هما حبيبان.. صحيح انهما شخصان منفصلان لكن، زوجان متصلان متلاصقان.. وإلى الأبد.. ماضيهما المنفصل توحد في مستقبل لا انفصام له، روابطه القلب والعقل اللذان يجعلا من الزواج أفضل علاقة في الدنيا.. أثمن من الصداقة، وأقوى من رباط الدم.

- تعالي حبيبتي.. إذا كنا سنتزوج حالاً.. فهناك الكثير نفعله.

- ومتى حالاً؟

- في الغد إذا أمكن. وإلا في اليوم التالي.. أولاً سنذهب للغداء مع جدتي. بعد الظهر سنشتري خاتم الخطوبة وثوب الزفاف.

- لا احتاج إلى خاتم خطوبه.. تشتري لي واحداً عندما

تصبح ثرياً. لكن في الوقت الحاضر سأقتنع بخاتم واحد للزفاف فقط.

نظر إليها مبتسماً، فسألته باستغراب:

- لماذا تبتسم؟

هز رأسه ولم يقل لها شيئاً.. فتابعت:

- أين تسكن جدتك؟

- ليس في مكان بعيد عن هايد بارك.

- وهل أخبرتها عني؟

- اسمك فقط وانني أريد الزواج منك.. وطبعاً انها فاقدة الصبر لتراك.

وهو يحدثها كان يعطي حقيبتها لرجل في ثوب كحلي وقبعة مماثلة:

- هذا جورج.. سائق جدي.. جورج، أنا مسرور لأخبرك أن الآنسة روجرز قد وافقت لتوها أن تغير اسمها إلى السيدة اوزبورن.

ابتسم السائق ولامس طرف قبعته محيياً:

- صباح الخير آنسة.. وتهنئتي الحارة سيد دانيال، واسمحي لي أن أتمنى لكما كل السعادة آنسة.

غرقت برونا في مقعد السيارة الفخمة بينما كان جورج يضع حقيبتها البسيطة في الصندوق.. وسألت:

- هل أصبحت ثرياً؟

- لست بثراء جدي.. فقد تركني والدي في بحبوحة لا بأس بها. لكنني لم ألمس ماله.. فلقد أحسست أنني لا يحق لي لمس مال

العائلة وأنا أعارض الجميع.. لكن الآن، وأنا على وشك العودة إلى ما أسسه جد جدي من تقاليد، لم يعد في ضميري ما يمنعني من استخدام حصتي من ثروة العائلة.

جلس جورج في مقعده خلف المقود، وأقفل دان الزجاج السميك الفاصل بين المقود الأمامي والخلفي.. ثم أكمل:

- وعدتك أن أقص عليك قصة حياتي.. كان جدي الأكبر شخصية مخيفة، لدرجة الاستبداد.. ولا زال جدي هكذا. لكن والدي، ابنه الوحيد، لم يكن له شخصية قوية.. أمي تعرفت عليه في أميركا وتزوجته لماله. وعاشا حياة كلها خصام إلى أن بلغت التاسعة.. فتركته إلى رجل اميركي أغنى منه. ومات أبي حين بلغت الثالثة عشرة. خلافاتهما الدائمة جعلتني لا أكترث بأي منهما.. واحتقرت أبي حين علمت أن العائلة اجبرته على العمل في مؤسستها بدلاً من الاتجاه إلى الطب الذي كان يحبه.. لذلك حين بدأ جدي يخطط لمستقبلي، قلت له أن لي أفكار أخرى. فغضب.. وهذا وصف ملطف.. وقال إنه لا يريد رؤيتي ثانية.. وحرّم على جدتي الاتصال بي.

- ألم تواجهه جدتك يوماً؟

- لا.. فهي بطبيعتها هادئة. وتقبلت منذ البداية أن الطريقة الوحيدة للعيش معه بسلام هو أن تتركه ينفذ ما يريد. واعتقد أن اضطرارها لابعادي عن حياتها أزعجها كثيراً. لم تكتب لي، ولم أكتب لها، بل تبادلنا رسائل شفهية بواسطة آيرين.

- حين قدمتني للسيدة كاستل لماذا لم تقل انها ابنة عمتك؟

- لأنني لم أرغب في أن تأخذي فكرة تربطني بطريقة حياتها.

فمنذ زمن بعيد قررت أنني حين اتزوج يجب أن لا تهتم زوجتي بالمال ولا بالمركز. أردت فتاة تعيش معي حتى ولو اخترت أن أمضي بقية حياتي اعزف في الحانات وأعيش في المركب.. ووجدتك.. وعلى ذكر الموسيقى، اقترح أن نعود إلى سردينيا وأكمل العزف في المطعم حتى آخر الموسم أو حتى يجدون بديلاً عني. ثم نعود إلى لندن.. فيوم ما سأحل محل مكان جدي.

- وهل يعرف بأمرنا؟

- ليس بعد، لكن قد أخبره الليلة.. وسيمضي وقت طويل قبل أن تقابلي الأسد العجوز.. وأنا واثق أنه لن يزأر عليك حبيبتي!

حين وصف منزل جده، بأنه لا يبعد كثيراً عن الهايدبارك كان يعني أنه في شارع كورزون السكني الفخم الذي يطل من الخلف على الحديقة.

كانت جدته تنتظرهما في غرفة استقبال ضخمة في الطابق الأول.. وأمسكت يد برونا:

- كم أنا سعيدة للقاءك أخيراً. سمعت عنك منذ فترة من حفيدتي آيرين.. وهي كما لا بد تعلمين معجبة جداً بلوحات أمك الجميلة، قالت انك فتاة فاتنة، وإذا كان دان قد وقع في حبك، فلا شك لنرى أن طبيعتك أجمل من شكلك، لقد عرفت ساعة وصوله، أن شيئاً قد حدث له.. واسعدني أن أراه سعيداً.

فقال دان:

- لكنك لم تعرف بعد إذا كانت قد قبلت بي.

- عرفت لحظة خرجت من السيارة يا عزيزتي.. فالحب حالة

تُعرف في الحال.. ومع أن الأمر حدث منذ خمسين سنة، إلا أنني لم أنس البهجة التي غمرتني لدى خطبتي إلى جدك.. وقد لا اندهش لو عرفت أنه يحمل ترخيص الزواج في جيبه.

التفتت برونا إليه:

- صحيح؟

- لا.. لأنني بعد تركك فجأة لم أعد واثق أنك ستقبلين بي.

بعد الغداء أخذها لشراء الخاتم من دار فخم للمجوهرات، ثم تركها لتختار لوحدها فستان الزفاف.. حين عادت للالتقاء بدان لتناول الشاي معاً، كانت محملة بفاستين رائعة كلها من تصميم أوروبي.. وأبدى لدى تناول الشاي شهية ولد صغير في تناوله السندويشات الصغيرة وقطع الحلوى المرفقة مع الشاي، ولترضيه تناولت معه القليل مع أن السعادة التي كانت تعيش فيها سلبتها كل شهية للطعام.. كانت لا تزال غير مصدقة ما يحصل لها حقاً.. فما يحدث كان له وقع الحلم في نفسها.

حين عادا إلى شارع كورزون، وجدا أن الليدي اوزبورن قد ذهبت لزيارة زوجها وأخبرته عن برونا. وأخبرتهما أنه يريد رؤيتها بنفسه، وسمح له طبيبه بأن ترافق دان حين يزور جده ذلك المساء.

حين التقته، وجدت من الصعب أن تصدق بأن السير فيليب أوزبورن في الخامسة والسبعين، وأنه منذ أيام فقط ادخل على عجل إلى المستشفى. كان نسخة معمّرة من دانيال، له شعر أبيض كثيف بدلاً من شعر اسود كثيف، وعينان زرقاوان شرستان، بدلاً من عيني دان اللوزيتان المرحتان.

- اذن.. أنت الشابة التي تمكنت أخيراً من اقناع حفيدي بأن

يتخلى عن الحياة الهراء التي يحياها ويعود مواطناً صالحاً.

ردت عليه بلطف:

ـ لا.. هذا غير صحيح تماماً.. أرجو أن لا أتمكن يوماً من اقناع دان بأن يفعل شيئاً لا يحب أن يفعله، وإذا أحب الاستمرار في حياة الهراء، سأكون مسرورة بالبقاء معه، وإذا اختار أن يكون محترماً.. سأقبل بنفس السعادة.. فأنا لا اهتم أين أو كيف نعيش.. طالما أكون معه.

حملق العجوز بها مشدوهاً:

ـ الفتاة السخيفة واقعة رأساً على عقب بك دانيال.. كنت آمل أن تكون عاقلة.

ـ ليست أكثر تعقلاً من جدتي، التي طالما فعلت كما تريد أنت. أكنت تتمنى أن أتزوج احدى الفتيات المتحررات اللواتي يرفضن الخضوع لازواجهن؟

ـ بالطبع لا! لم أسمع من قبل بهذا الهراء! لو أنك اخترت احدى هذه المخلوقات المتعجرفات، لما حصلت على بركتي.. أؤكد لك.. بإمكان المرأة أن تعيش كما يحلو لها، عالمة بدل ربة منزل، أو محامية بدلاً من أم.. لكن عليها أن تكون انثى كذلك.. وليس أحد المشاكسات اللواتي ينظرن إلى الرجال كأعداء.

ردت برونا:

ـ كان الرجال أعداؤنا في وقت ما.. لكن بالنسبة لجيلنا، أظن حرب الجنس قد توقفت، وبالنسبة لي لا استطيع انتظار التحول من الآنسة روجرز إلى السيدة دانيال اوزبورن.

لم يمكثا طويلاً مع السير فيليب، الذي ابدى أسفه لعدم تمكنه

من أن يحضر زفافهما في اليوم التالي، وأنه يتطلع بشوق إلى زيارتهما القادمة قبل سفرهما إلى سردينيا.

من المستشفى ذهبا إلى المسرح، ثم إلى مطعم ايطالي للعشاء. وحين أوصلهما التاكسي إلى المنزل قال لها:

ـ هل نصعد ونتمنى ليلة سعيدة لجدتي، إنها تخلد إلى فراشها باكراً، لكنها تمضي وقتاً طويلاً في القراءة.

وضعت الليدي اوزبورن كتابها من يد مبتسمة:

ـ هل كانت المسرحية جميلة؟

بأدوار متبادلة تقاسما قص موضوع المسرحية على الجدة وهي تجلس قربه على ذراع المقعد تسند ظهرها إلى كتفه.. واستمر الحديث بين الثلاثة إلى قرابة منتصف الليل حين قالت الليدي:

ـ أظن أنني يجب أن أرسلكما إلى النوم الآن.. أمامكما يوم متعب طويل في الغد.

حين فتح لها باب غرفتها كانت تعرف أنه لو اختار الدخول فلن تقول له لا.. لكنه بدلاً عن ذلك ضمها إليه وقبل جبهتها قائلاً بصوت أجش:

ـ نامي جيداً.

ثم انسحب ليغلق الباب بهدوء وراءه.

في الصباح التالي وصل فطارها إلى الغرفة، وعلى الصينية هديتان لها.. هدية من الليدي، قرطان اثريان من الزمرد المتدلي، مع رسالة: هذان القرطان هدية لعروس زوجي من جده، ومن تقاليد العائلة أن يمرا بين أيدي عرائس اوزبورن صبيحة زفافهما، ولا استطيع التعبير لك عن مدى سعادتي لهذه المناسبة التي جاءت

أقرب مما كنت أتوقع».

الثانية كانت تحتوي على حليتين من الدبابيس الحديثة على شكل فراشتين. وعلى البطاقة المرافقة رسم دان قلباً يحتوي على حرف اسميهما وعرفت برونا أنها ستثمن الرسم، ولأسباب عاطفية أكثر من الجواهر.

ذهبت وعريسها إلى زفافهما المدني مع شاهدين: جدته وابنة عمته آيرين، التي وصلت الليلة السابقة. كلا المرأتين كانتا صادقتين في تقديرهما لثياب العروس غير التقليدية، من الحرير الأخضر اللون الذي يتماشى مع لون بشرتها العسلي الذي اكتسبته تحت أشعة الشمس.

بعد عشر ساعات، كانت وردة قصيرة الساق مثبتة إلى ياقة فستان آخر أكثر مناسبة للسفر عائدين إلى نابولي، ومن هناك بحرا إلى قريتهما الصغيرة.

أول زيارة له كانت إلى «الغالوروزو» ليقول لصاحبه انه سيعود إلى العزف في الغد ليعيد له ماله. ثم زارا هانيز، ليعلنا له زواجهما ويأخذا منه الكلب.

كان القمر ينير الميناء حين غادرت لاكويلا مرساها تاركة الميناء، متجهة شمالاً. وقبل أن يكتمل بزوغ القمر كانت راسية في أول خليج أخذها إليه، حيث لا وجود لأحد غيرهما فوق المياه الفضية الصافية. أقرب الناس إليهما، سكان تلك الڤيلات فوق الجرف الصخري المرتفع، حيث يحد الشجر الخط الساحلي.

وقال دان مبتسماً بعد أن تأكد من رسو المركب بأمان:

ـ أخيراً لوحدنا.

ونزل من غرفة القيادة إلى السطح ليحيط برونا بذراعيه.. فلفت ذراعيها حول عنقه، تغمض عينيها إزاء أشعة القمر.. وتمتمت وهي تتألق بنوره:

ـ ولقد كان يوماً من أجمل أيام حياتي دان.. وأنا سعيدة!

اشتدت ذراعاه القويتان حولها، وكانت شفتاه شديدا الدفء على خدها:

ـ والآن، بقي أمامنا الليل.. كارا ميا.

* * *

www.elromancia.com